

زينة وحذر

كتبه

عصام حسنين

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين







حقوق الطبع محفوظة

دار الخلفاء الراشدين
الأسكندرية

رقم الإيداع: ٢٥٣٦٧/٢٠٠٧

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٥٠١٣١٥١ - ٠١٢٠١٥٢٩٠٨

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية - مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٢٧٧١٠٦٠ - ٠١٠٦٧١٤٧٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يُضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب٧٠-٧١].

أما بعد:

فقد بيّن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خطر فتنة الشهوة فقال — تعالى- : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:١٤،١٥].

فأول ما بدأ الله بذكره من الشهوات: شهوة النساء فدل ذلك على عظيم خطرها وأكد ذلك النبي ﷺ بقوله: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ**» [صحيح].

وقال: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» [صحيح].

والذي يتأمل في أحوال العالم شرقيه وغربيه يجد مساحة هائلة لفتنة الشهوات التي شغلت البلاد والعباد وملأت العيون والقلوب، وصارت فتنة الشهوة الجنسية من أمضى الأسلحة وأقوى الأسلحة وأخطر الأسلحة التي تُستخدم لاستعباد الشعوب وشغلها عن حقيقة حياتها، ويتربع اليهود على رأس أهل الفتنة بما يديرونه من وسائل إعلام من سينما، وتليفزيون، وفيديو، وبث مباشر وشبكة إنترنت، ومجلات، وصحف جنسية، وغير ذلك مما سيطروا به بالفعل على العالم الغربي، بل والشرقي كذلك حتى صار العالم يلهث وراء شهوة الجنس، لا يعرف في سبيل الحصول عليها معروفًا ولا

ينكر منكرًا، لا.. بل صار يعرف المنكر والفحشاء فهي أمور عادية مقننة مشروعة، وصار ينكر المعروف والعفة والفضيلة فهي أمور رجعية متخلفة متحجرة، وأذنابهم في بقاع العالم تلهب ظهور العباد بمزيد من سياط الشهوة لتنطلق بلا وعي نحو تدمير كل الأمم والشعوب لم يعد باقيًا أمامهم في سعيهم الدؤوب للسيطرة على مقاليد الأمور إلا أمة الإسلام التي لا تزال العفة والطهارة والصيانة قيمًا فاضلة في مجتمعاتهم وإن كان تطبيق هذه القيم عمليًا قد بدأ منذ عقود طويلة ظهر فيها التحلل وانتشر خصوصًا مع دعاوى الحضارة والمدنية والتقدم، ولكن بحمد الله لا تزال هذه القيم - حتى عند من لا يطبقها - هي المثال الأعلى، والفضيلة التي ينشدها الجميع إلا قلة من المنافقين والزنادقة، وبالتالي فلا نجد غرابة أن تسلط سهام الفتنة نحو أمتنا أشد ما تكون لتلحق بالركب، وتدخل في نطاق الأمم المستعبدة الخاضعة لسلطان الجنس والمال خاصة مع عصور الانفتاح، وسرعة الاتصالات،

ووسائل الإعلام العالمية التي لا يمكن مقاومة أثرها بحجْر أو تشويش أو منع - بل لا سبيل إلى مقاومة أثرها الهدام إلا من داخل القلوب والعقول، إلا بالعقيدة الراسخة والدين الحق الذي يلتزم به صاحبه، مهما كانت الفتن حوله مستعرة والشهوات مشتعلة...

ولهذا كله نجد لزامًا علينا نصيحة لأمتنا وحبًا للخير أن ينتشر في رجالها ونسائها، وسعيًا لحفظ شبابنا وبناتنا عمدة مستقبلنا وأمل نهضتنا أن نحذر أنفسنا وأهلنا من خطر هذه الفتنة، وأن نبين وسائل الحماية منها في ضوء الكتاب والسنة. ولهذا كان هذا الكتيب...

نسأل الله أن ينفع به كاتبه ومراجعه وناشره وقارئه وجميع أمة الإسلام، إنّه ولي ذلك وهو على كل شيءٍ قدير.

كتبه

ياسر برهامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي المؤمنين- يحبهم، وينصرهم، ويحفظهم، ويعصمهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن. والصلاة والسلام على محمد ﷺ الذي حذر أمته من الفتن؛ فوضح وبيّن، وبلّغ عن ربّه البلاغ المبين؛ فكان كما وصفه ربّه: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

أما بعد... فيا أخي الحبيب:

قصة عجيبة

أنت - الآن - على موعد مع قصة عجيبة قصة الإنسان(١) الذي اختاره الله من بين سائر المخلوقات، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان، والتوحيد، والإخلاص، والمحبة،

---

(١) مستفاد بتصرف من «الوابل الصيب» لابن القيم: ص ١٣٠ وما بعدها.

والحياء، والتعظيم، والمراقبة، وجعل ثوابه إذا قدم عمله أكمل الثواب وأفضله هو النظر إلى وجهه، والفوز برضوانه، ومجاورته في جنته!.

- وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه؛ فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه؛ فتميل نفسه معه؛ لأنه يدخل عليها بما تحب فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد!!

ثلاثة مسلطون آمرون، يبعثون الجوارح في قضاء وطرهم، والجوارح آلة منقادة فلا تزال في طاعتهم كيف أمروا وأين قصدوا! .

- هذا هو مقتضى العبد: ضعيف، فقير بنفسه!

فاقتضت رحمة أرحم الراحمين به أن أمده وأعانه بجند آخرين يقاوم بهم هؤلاء الأعداء الذين يريدون إهلاكه!.

- فأرسل إليه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنزل عليه كتابه.

✿ وأيده بملَك كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمر من معصية الله، أمره الملك وذَكَّره بطاعة ربِّه فالشيطان يلمّ به مرة، والملك مرة ، والمنصور من نصره الله -تعالىٰ -، والمحفوظ من حفظه الله!.

✿ وجعل له مقابل نفسه الأمارة بالسوء نفسًا مطمئنة تأمر بالخير وتنهى عن الشر في مقابل هذه النفس الأمارة بالسوء، والعبد يطيع هذه مرة وهذه مرة، والمعصوم من عصمه الله!.

✿ وجعل له مقابل الهوى والنفس الأمارة نورًا وبصيرة وعقلًا يرده عن الذهاب مع الهوى!

فكلما أراد الذهاب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذر.. الحذر! فإن المهالك والمتالف بين يديك، وأنت صيد الحرامية وقطاع الطريق إن سرت خلف هذا الدليل!.

فهو يطيع الناصح مرة؛ فيبين له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوى مرة، فيقطع عليه الطريق، ويؤخذ ماله فيقول: ترى من أين أُتيت؟

والعجب أنه يعلم من أين أُتي، ويعرف الطريق التي قطعت عليه ويأبى إلا سلوكها؛ لأن المعصية قد تمكنت منه - عافاه الله - ولو أضعف هواه بالمخالفة والمحاربة لما تمكنَّ منه!

فهكذا يصير أسيرًا للشيطان أو للهوى ولنفسه الأمارة ثم يطلب الخلاص؛ فيعجز عن ذلك!.

فلما أن بُلِيَ العبدُ بذلك أُعين بالعساكر والعُدد والحصون، وقيل له: قاتل عدوك وجاهده، ورابط حتى يأتيك الموت، فالأمر قريب، والمدة يسيرة!.

فكأنك بالموت ينزل بك، وتنتقل من دار العناء إلى دار الراحة، وانتقلت إلى دار الكرامة، وانتقل عدوك إلى النار!.

فاصبر فما هي إلا ساعة ثم تنقضي، وكأن الشدة لم تكن!.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وخطب النبي ﷺ أصحابه يومًا؛ فلما كانت الشمس على رؤوس الجبال وذلك عند الغروب قال: «**إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ**» انظر: «سنن الترمذي».

فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث، وليعلم أنه في غرور وأضغاث أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوي شيئًا!.

ولو طلب اللهَ - تعالىٰ - والدارَ الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئًا موفورًا وأكمل منه كما في بعض الآثار:

«ابن آدم بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعًا، ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعًا».

وقال بعض السلف: «ابن آدم أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج؛ فإن بدأتَ بنصيبك من الدنيا أضعتَ نصيبك من الآخرة، وكنتَ من نصيب الدنيا على خطر، وإن بدأتَ بنصيبك من الآخرة فزتَ بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظامًا».

وكان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في خطبته[1]: «أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولم تتركوا سدى، وإنّ لكم معادًا يجمعكم الله - عَزَّ وَجَلَّ - فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وشقي عبدٌ أخرجه اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - من رحمته التي وسعت كل شيء، وجنته التي عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف الله - تعالىٰ - واتقى، وباع قليلًا بكثير، وفانيًا بباق، وشقاوةً بسعادة!.

(١) هذه آخر خطبة خطبها، انظر «عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي (ص١٦٧).

ألا ترون أنكم في أسلاب[1] الهالكين، وسيخلفه بعدكم الباقون؟

ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غاديًا رائحًا إلى الله قد قضى نحبه وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟!».

والمقصود: أنّ اللهَ - تعالىٰ - قد ابتلى عبده بالشهوة والغضب والغفلة، وبعدوه إبليس لا يفتر عنه، فيدخل عليه من الأبواب التي يحبها ويهواها إلا أن من رحمته - تعالىٰ - بالعبد أن أمده بالجنود والأمداد ليحرز نفسه من هذه الأعداء.

---

(١) السلب: ما على القتيل من ثياب وسلاح وغيره «الوجيز».

حقًا إنها لقصة عجيبة، يجب على كلٍ منا أن يقف عليها ليعلم كيف يحرز نفسه من أعدائه!!.

فتنة النساء

وإنَّ مما ابْـتُلِيَ به العبدُ وزُيّن له، حب الشهوات من النساء كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

«يخبر- تعالىٰ- عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين؛ فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد!، كما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ**».

فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه»[١]اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله - تعالى-: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.. ﴾ الآية.

فجعلهن عين الشهوات؛ وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك...»[٢]اهـ.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ»**[٣].

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٢٥).
(٢) نقلًا عن «تحفة الأحوذي» (٨/ ٥٣).
(٣) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.
«**ما تركت**»: أي ما أترك. عبر بالماضي لتحقق الموت.
«**فتنة**»: أي امتحانًا وبلية. «تحفة الأحوذي» (٨/ ٥٣).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(١).

«فاتقوا الدنيا»: **أي**: تجنبوا الافتتان بها وبالنساء.

«مستخلفكم فيها»: جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم...»(٢)اهـ.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ**»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) شرح مسلم للإمام النووي (١٧/ ٥٥).

(٣) جزء من حديث رواه مسلم.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ: الْإِشَارَة إِلَى الْهَوَى وَالدُّعَاء إِلَى الْفِتْنَة بِهَا لِمَا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى فِي نُفُوس الرِّجَال مِنْ الْمَيْل إِلَى النِّسَاء، وَالِالْتِذَاذ بِنَظَرِهِنَّ، وَمَا يَتَعَلَّق بِهِنَّ، فَهِيَ شَبِيهَة بِالشَّيْطَانِ فِي دُعَائِهِ إِلَى الشَّرّ بِوَسْوَسَتِهِ وَتَزْيِينه لَهُ. وَيُسْتَنْبَط مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهَا أَلَّا تَخْرُج بَيْن الرِّجَال إِلَّا لِضَرُورَةٍ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْغَضّ عَنْ ثِيَابهَا، وَالْإِعْرَاض عَنْهَا مُطْلَقًا»[1] اهـ.

«والله - عَزَّ وجلَّ - من حكمته أن ركب في الإنسان شهوة الفرج تركيبًا قويًا، وجعل لها عليه سلطانًا شديدًا؛ فإذا ثارت كانت أشد الشهوات عصيانًا على العقل؛ فلا تقبل منه صرفًا ولا عدلًا إلا من تحجزه التقوى، ويعصمه الله - عَزَّ وجلَّ - بتوفيقه...؛ والمرأة من طبعها استهواء الرجل،

(١) شرح مسلم (٩/ ١٧٨).

والسيطرة على مشاعره، وامتلاك حسه ولبه، وفي سبيل إغوائه ولفت نظره إليها، قد تصنع من ألوان الفتن ما يجر إلى المنكر...» [(١)]اهـ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «خلقت المرأة من الرجل؛ فجُعلت نَهمتُها في الرجل، وخلق الرجل من الأرض؛ فجعلت نهمته في الأرض، فاحبسوا نساءكم»[(٢)]اهـ.

---

(١) انظر: «عودة الحجاب» (٣/ ٢٥).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٤٨).

أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ

لقد كان أول اختبار وامتحان لبني إسرائيل في «الافتتان بالنساء» فقد أوغلت نساؤهم في المعاصي، وتفنّنَ في فتنة الرجال فوقع على بني إسرائيل بسبب ذلك مع ذنوبهم الأخرى العذاب والهلاك!.

ومن مظاهر ذلك:

قوله ﷺ: «كانت امرأة من بني إسرائيل قصيرة تمشي مع امرأتين طويلتين فاتخذت رجلين من خشب و خاتمًا من ذهب مغلقًا بطين ثم حشته مسكًا و هو أطيب الطيب فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها فقالت بيدها هكذا»[١].

---

(١) رواه أحمد، والنسائي مختصرًا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٤٠).

وفي رواية: «فَكَانَتْ إِذَا مَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ حَرَّكَتْهُ فَنَفَخَ رِيحَهُ».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان نساء بني إسرائيل يتخذن أرجُلًا من خشب يتشرفن للرجال، في المساجد فحرم الله عليهن المساجد، وسلطت عليهن الحيضة»(١).

وعنها أيضًا قالت: «لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقُلْتُ لِعَمْرَةَ بنت عبد الرحمن - الراوية عن عائشة رضي الله عنها -: أَنِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُنِعْنَ الْمَسْجِدَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ»(٢)، (٣).

وهذا عقاب من الله لهن على إحداث التبرج والزينة.

(١) قال الحافظ: «أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح وهذا وإن كان موقوفًا حكمه حكم الرفع لأنه لا يقال بالرأي» اهـ.
(٢) رواه البخاري، ومسلم.
(٣) «عودة الحجاب» (صـ٣/ ٢١) وما بعدها بتصرف.

قال الإمام النووي في شرح الحديث: «يعني من الزينة، والطيب، وحسن الثياب والله أعلم»[1]اهـ.

وعن حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه بِالْمَدِينَةِ يَخْطُبُ ويَقُولُ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ؟ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَنْهَى عَنْ هَذِهِ الْقُصَّةِ وَيَقُولُ: «**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ**»[2].

قال المباركفوري رحمه الله: «القُصَّة: الخصلة من الشَّعر. وفي رواية: كبة من شَعر».

«إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ» فيه: إشعار بأن ذلك كان محرمًا عليهم؛ فلما فعلوه كان سببًا لهلاكهم مع ما انضم إلى ذلك من ارتكابهم ما ارتكبوه من المناهي.

(١) شرح مسلم (٤/ ١٦٤).
(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

قال الحافظ في «الفتح»: «هذا الحديث حجة للجمهور في منع وصل الشعر بشيء آخر سواء كان شعرًا أم لا»[١] اهـ.

فهذه مظاهر فساد بني إسرائيل: التبرج من وصل الشعر وإظهار الزينة، ووضع الطيب في المسجد؛ فوقعت الفتنة، فهلكوا بسبب ذلك مع ذنوبهم الأخرى، فيا ليت شعري أي مصير ينتظرنا؟! وقد عمَّ نساء أمتِنا. - إلا من رحم الله تعالىٰ - من التبرج والانحلال ما فاق نساء بني إسرائيل بمراحل!!. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ﷺ محذرًا: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**»[٢].

---

(١) انظر: «تحفة الأحوذي» (٨/ ٥٤) بتصرف.
(٢) رواه مسلم.

حضارات تنهار!!

وبسبب انحراف النساء كان انهيار الحضارات، ونزول العقاب الإلهي بأهلها، والأوجاع والأمراض كما وقع قديمًا لليونان والرومان والفرس والهنود وبابل وغيرها من الممالك!!

الرومان

«كان النساء عند الرومانيين مُحِباتٍ للعمل، مثل محبةِ الرجال له، وكنَّ يشتغلنَّ في بيوتهن، أما الأزواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب، وكان أهم أعمال النساء بعد تدبير المنزل: الغزل وشغل الصوف... ثم دعاهم بعد ذلك داعي اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الأنس والطرب، فخرجن كخروج الفؤاد من بين الأضالع، فتمكن الرجل لمحض حظ نفسه من إتلاف أخلاقهن، وتدنيس طهارتهن، وهتك حيائهن، حتى صرن يحضرن المراقص، ويغنين في المنتديات، وساد سلطانهن

حتى صار لهن الصوت الأول في تعيين رجال السياسة وخلعهم، فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري أو لا تدري»(١)اهـ.

صح عن جبير بن نفير رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال:

«لما فتحت قبرص فرق بين أهلها؛ فبكى بعضهم إلى بعض، ورأيت أبا الدرداء رضي الله عنه جالسًا وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟! قال: ويحك يا جبير! ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره!، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله - عَزَّ وَجَلَّ - فصاروا إلى ما ترى»(٢)اهـ.

---

(١) دائرة معارف القرن التاسع عشر نقلًا عن «تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية» (ص٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية».

ولما أراد المعز الفاطمي بعد أن فتح ما يلي أفريقية من البحر المحيط - غزو مصر - أخذ يرنو إليها واجمًا متهيبًا، حتى جاءته الأنباء متواترة عن استهتار نساء الإخشيد!؛ فتحرك للعمل، وأرسل قائده جوهرًا لفتح مصر وقال: «اليوم فتحت مصر لا يصدنا عنها شيء» فكان الأمر وفق ما قال.

وفي عصورنا المتأخرة قد ذخر التاريخ المتأخر بعبر ومَثُلات تزيد يقين المؤمن بشؤم هاتيك المعاصي والشهوات التي غرق فيها الغربيون، وتبعهم عليها كثير من الأمم، الأمر الذي يُنْذِر بسوء العاقبة!!.

فرنسا

لما هُزمت فرنسا من الألمان في الحرب العالمية الثانية في سرعة عجيبة قال لهم المارشال «بيتان» يقرعهم ويوبخهم: (زنوا خطاياكم بني قومي، إن خطاياكم ثقيلة، إنكم لم تريدوا أطفالًا، وهجرتم حياة الأسرة، ونبذتم الفضيلة، وكل المثل

الروحيـة، وانطلقـتم إلى الـشهوات تطلبونهـا في كـل مكـان، فانظروا إلى أي مصير قادتكم الشهوات).

بومبي

وفي بومبي وحدها عبرة ونذير لمن كـان لـه قلـب! ذلـك الاسم الذي يُطلق الآن على هضبة صغيرة قريبـة مـن بركـان «فيزوف»(١) من مدينة نابولي بـ «إيطاليا».

وهي في الأصل مدينة قديمة يـتراوح عـدد سـكانها بـين «١٥ الف» و«٢٥ ألف».

الصورة العامة لهذه المدينة ترسم لنا شعبًا يعـيش في ثـراء واسترخاء تحت شمس مشرقة، يأكل ما لذَّ وطاب، ويـشرب الخمر، ويغترف دون حياء من المسرات الجنسية.

---

(١) بركان فيزوف: أنشط بركان في العالم، وصـار يُطلـق عليـه: جبـل العِبرة.

وَمَنْ نظر إلى الكِتابَات التي وُجدت على جدران المدينة علم أن سكانها لم يكن لهم من الحياة إلا هدفين: الكسب المادي واللذة!.

من أمثلة ذلك: «مرحبًا بالكسب، إن الكسب هو السرور».

«ليعش الحب، وليمت كل من لا يعرف كيف يحب، واللعنة على من يحرمنا الحب»(١).

وممارسة الجنس كان لمختلف الطبقات، فالطبقات الغنية كان لها الخليلات، والطبقات الفقيرة كان لها أماكن الدعارة المخصصة لذلك مقابل المال.

وُجد على الجدران رسومات حائطية ملونة، وقد تكون أحيانًا نحتًا يُمثل عضو التذكير!!.

---

(١) والحب بمفهومهم هنا هو الزنى كما عليه الحال في أوربا وغيرها ممن سار على منوالها! فأيُّ عقابٍ باؤوا به من الجبار جل وعلا.

الأمر الذي يستلفت نظر الزائرين لهذه المدينة هو الحياة الجنسية فيها!.

هذه قرية ظالمة لنفسها، فأخذهم الله - تعالىٰ - أخذ عزيز مقتدر ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود:١٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠].

كيف أخذهم الله - عَزَّ وجلَّ -؟

انطلقت حمم بركان فيزوف على اختلاف أحجامها؛ تطمسها وتطمرها فكتمت أنفاسها! طُمست المدينة بأكملها، وصارت أثرًا بعد حين!.

أين الديار.... أيـن أهلهـا؟

أين أموالهم... أين ملذاتهم؟

أين...وأين؟!

واستمرت هذه المدينة هكذا محجوبة تحت الرماد والكتل البركانية ما يزيد على «١٦٦٩سنة»!.

فأراد الله - عَزَّ وجلَّ - أن يُظهر عِبرتها للوجود لعلهم يرجعون.

وكان ذلك في عام «١٧٤٨م» عندما عثر أحد الفلاحين على آثارها؛ فبدأت الحفريات حتى أمكن إظهار أربعة أخماسها[1] فماذا رأوا؟.

رأوْا - والله - عجبًا، رأوْا شعبًا بأكمله قد استحال إلى محنطات لم يبل منها شيء، ولم يتغير وضع!

(١) على حدّ قول صاحب كتاب «مدن دارسة» طبعة ١٩٦٥م.

أجساد كما هي قد تحجرت بادية أسنانهم وأعينهم، باقيةً بيوتهم، قد ماتوا في مواضعهم، فوُجدت أسرة بأكملها على أرائكهم حول مائدة طعامهم قد تحجروا جلوسًا، وتحجر طعامهم البيض والخبز!.

واكتُشف منزل بشارع المقابر حيث اجتمع بعضهم في حفل جنائزي عقب وفاة أحد الأقارب، فانقض الموت عليهم بسرعة لم تُتح لهم فرصة مغادرة أرائكهم الجالسين عليها!.

ووُجد النساء العاهرات بحليهن من الخواتم والسلاسل الذهبية التي تُزين أطرافهن التي تحطمت.

ووُجد حارس البيت في حجرة الحراسة الصغيرة حيث مات في أظلم ركن بها، وهو ينظر إلى خاتم بأصبعه الخنصر مأخوذًا، منقوشًا عليه صورة امرأة!.

ووُجد منهم من يحمل على ظهره أكياسًا مليئة بالذهب والفضة!.

أين المفرُّ والإله الطالبُ

ووُجد الخباز وفي يديه لوحًا يستخرج به الخبز!.

ووُجد السكارى وبأيديهم كؤوس الخمر!.

ووُجد الفاسقون وهو في أشنع حالات الفاحشة!.

فهل من مُعتبر؟!(1).

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود:83].

أي: وما هذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيدةٍ عنه.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [محمد:10].

أي: من العذاب العظيم، نعوذ بالله من غضبه وشر عقابه.

---

(1) انظر ذلك: «مدن دارسة» (ص350) وما بعدها. ويوجد فيلم مصور على موقع «هارونيات» وهو عجيب حقًا.

بومبي الشرق

أُعلن في شهر فبراير سنة ٢٠٠٦م عن اكتشاف جديد، حيث اكتشف فريق من الباحثين في أندونسيا بلدة مدفونة تحت الصخور البركانية والرماد!

اكتشفوا بقايا منزل واثنين من سكانه مدفونين تحت الرماد على عمق ثلاثة أمتار!.

وعثروا على أواني من البرونز والخزف وغيرها تعطي معلوماتٍ عن ثقافة أندونسية غابرة.

يقول أحد المكتشفين - وكان ينقب في المنطقة منذ عشرين عامًا -: «إن كل المساكن وأصحابها مازالت محفوظة كما كانت عام ١٨١٥م».

ويظهر من خلال ما عُثر عليه أن سكان البلدة كانوا أغنياء، وأن لهم علاقات بفيتنام وكمبوديا، ويبدو أنهم كانوا يتحدثون بلهجة قريبة من لهجة الخمير الحمر.

وقد أطلق هؤلاء العلماء عليها اسم: «بومبي الشرق» نظرًا لمشابهتها لمدينة بومبي بإيطاليا(١).

فما ذنب هؤلاء الناس؟ الله يعلم - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وستظهر عبرتها للناس يومًا ما كما ظهرت عبرة (بومبي) لعلهم يرجعون.

لكنَّ الله لم يأخذهم إلا بذنبٍ!.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ في قوم سبأ: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ:١٧].

وقال: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ... ﴾ الآيَة [العنكبوت:٤٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥٨].

---

(١) موقع «BBC» على شبكة الإنترنت.

فلنحذر - إخواني - من مشابهة هؤلاء المعذبين في أفعالهم القبيحة، حتى لا يقع بنا ما وقع بهم! فالله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

شواطئ جنوب شرق أسيا

وما أصابها من الإعصار الرهيب «تسونامي»، وهذا ليس عنا ببعيد، والجميع شاهده بعينه على شاشات التلفاز وكيف كان يأخذ الناس، وكيف كان الهلاك والدمار للآلاف والبيوتات العامرة، وبقى المسجد كما هو ليقول بلسان الحال: إنه من عذاب الله!.

وكان من ذنوب هؤلاء القوم: الزنا أيضًا. فهذه الشواطئ يتخذها أصحاب المتعة من الغربيين والأغنياء لقضاء وطرهم وممارسة الرذيلة! وتسهل لهم باسم السياحة!.

وأُخذ من أُخذ معهم من الناس؛ لأنهم لم ينكروا المنكر، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْـمُنْكَرَ وَلَا يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ الله أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ**»(١).

ولبنان التي كانت تسمى: «بلاد السحر والجمال»، لما انتشرت فيها الفاحشة سلط الله عليهم عدوًا أخذ بعض ما في أيديهم وهم: اليهود.

وكذلك في العراق... وفي الكويت... وحسبك من شر سماعه فانظر إلى أي مصير صاروا!!.

بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله - عَزَّ وجلَّ - فصاروا إلى ما ترى.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده». ومن المفيد في ذلك محاضرة الشيخ «خالد الراشد» المصورة عن هذه العبرة.

الأمراض والأوجاع

قال النبي ﷺ : «لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا»(١).

وقال أيضًا ﷺ : «إذ ظهر الربا والزنى في قرية؛ فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»(٢).

وقد حدث ما أخبر عنه النبي ﷺ ؛ فقد ضرب الله - عَزَّ وجلَّ - الزناة بالأمراض والطواعين أمثال الزهري، والسيلان، والإيدز، والأمراض النفسية وغير ذلك من الأمراض التي ظهرت نتيجة شيوع الفاحشة.

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه، والحاكم، وحسنه الألباني بشواهده في الصحيح (١٠٦).

(٢) حسن: رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «بلوغ المرام».

فتش عن اليهود وإخوانهم

والذي يتولى كِبْرَ شيوع الفاحشة في كثير من مناطق العالم - لاسيما العالم الإسلامي - الغرب وخصوصًا اليهود!!.

قال أحد كبراء الماسونية: «يجب علينا أن نكسب المرأة؛ فأي يوم مدت إلينا يدها، فُزْنَا بالحرام، وتبدد جيش المنتصرين للدين».

وقال أوسكار ليفي: «نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه، ومحركي الفتن فيه وجلاديه».

وفي بروتوكولات «شياطين» صهيون: «يجب علينا أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان؛ فتسهل سيطرتنا، إن «فرويد» منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس؛ لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح

همــه الأكــبر: إرواء غرائــزه الجنــسية، وعندئــذٍ تنهــار الأخلاق»(١).

قال أحد أقطاب المستعمرين: «كأس وغانية، تفعـلان في تحطيم الأمة الإسلامية أكثر مما يفعله ألف مدفع؛ فأغرقوها في حب المادة والشهوات»(٢).

ووقف القس «زويمـر» - رئـيس جمعيـات التنـصير - في «مؤتمر القدس» للمبشرين المنعقد عام (١٩٣٥م) قائلًا - لَعَنَه الله-: «إن مهمة التبشير التي ندبتكم الدولـة المـسيحية للقيـام بهـا في الـبلاد المحمديـة ليـست هـي إدخـال المـسلمين في المسيحية؛ فإن في هذا هدايـة لهـم وتكـريمًا!!، إن مهمـتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًـا لا صـلة لـه بـالله،

---

(١) «الحضارة الغربية على شفا جرف هار» ص (٣٧) نقـلًا عـن مجلـة المجتمع

(٢) انظر: «عودة الحجاب»(٢/ ١٦)وما بعدها بتصرف

وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له، ألا وهو: إخراج المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية. وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقًا لما أراده الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة، والكسل ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب؛ حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة؛ فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات!!.

أيها المبشرون: «إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه»[١]اهـ.

ونحن نقول لك: اخسأ يا عدو الله فلن تَعدُو قدرك، فأنت وأمثالك من أعداء الله - عَزَّ وجلَّ - الذين ينفقون

---

(١) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أبيدوا أهله (ص٦٥).

أمـوالهم ليـصدوا عـن سـبيل الله سـتغلبون، وإلى جهـنَّم ستحشرون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦].

وإن كنتم قد نجحتم مع أغـمار... فهيهـات هيهـات أن تنجحوا مع الشباب الـواعي الـذي انحـدر مـن كـل حـدب وصوب للالتزام بدين الله، والعض عليه بنواجذه، والغـيرة له، والذب عنه، والدعاء إليه حتى كان ما خبأه الله - عَزَّ وجلَّ - لـك ولأمثالـك مـن أعـداء الله - عَـزَّ وجـلَّ -: الـصحوة الإسلامية بعد رقاد!، فأساءكم... ثم أساءكم.

وصدق الله - عَزَّ وجلَّ -: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٢،٣٣].

وقال أيضًا: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ... ﴾ [آل عمران:١١٨].

وقال أيضًا: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً... ﴾ [النساء:٨٩]

الوجه القبيح لحضارة أوروبا وأمريكا

إن المجتمع الأوروبي والأمريكي يسير إلى حافة الهاوية، والسقوط والدمار بسبب انتشار الفواحش، وهذه شهادة شاهد من أهلها يقول: في جريدة الجمهورية السبت ٩يونيو١٩٦٢م.

نُشر تحت هذا العنوان «كاتبة أمريكية تقول: امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية المرأة».

«إن المجتمع العربي المسلم مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك: عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع العربي...، لهذا أنصح أن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط!! وقيدوا حرية الفتاة!! بل ارجعوا إلى عصر الحجاب!!، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا!!.

امنعوا الاختلاط؛ فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا معقدًا، مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملاوؤن السجون، والأرصفة، والبارات، والبيوت السرية.

إن الحريـة التـي أعطيناهـا لفتياتنـا وأبنائنـا الـصغار قـد جعلت منهم عصابات أحداث،و عـصابات جـيمس ويـن، وعصابات للمخدرات والرقيق.

إن الاخـتلاط والحريـة، والإباحيـة في المجتمـع الأوربي والأمريكي هـدد الأسر، وزلـزل القـيم والأخـلاق؛ فالفتـاة الـصغيرة تحـت سـن العـشرين في المجتمـع الحـديث تخـالط الشبان، وترقص وتشرب الخمر، وتتعاطى المخـدرات باسـم المدنية والحرية والإباحية، وهي تلهو، وتعاشر من تشاء تحـت سمع عائلتها وبصرها، بـل وتتحـدى والـديها، ومدرسـيها، والمشرفين عليها باسم الحرية والاختلاط!!.

تتحداهم باسم الإباحيـة والانطـلاق، تتـزوج في دقـائق وتُطلق بعد ساعات، ولا يكلفها أكثر من إمـضاء، وعـشرين قرشًا وعريس ليلة».

ويقول الكاتـب«جـيمس جـي كليلتريـك»: «كثـير مـن الفضائل القديمة - كما يسمونها - كالطهارة والعفة و الشفقة،

وكبح النفس عن الشهوة الجنسية - بخاصة - فقدت مكانتها من الاحترام، التي كانت تحتلها في الأخلاق الأمريكية، وفي مقابل هذه الفضائل أو القيم استبدل المجتمع الأمريكي قيمًا أخرى أو أصبح بلا قيم».

ويختم الكاتب مقاله قائلًا: «ليس واحدٌ من هذه التغيرات الضرورية دليلًا على دنو شمس الإمبراطورية الأمريكية على الغروب، ولكنها بلغة القدماء أبطأ مما كنا نظن»[(١)] اهـ.

قال الدكتور محمد محمد حسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«صدر أخيرًا كتاب للأستاذ: «بيتريم ساروكين» مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفاد بعنوان«الثورة الجنسية»، حيث يقرر أن أمريكا سائرة بسرعة إلى كارثة في الفوضوية

(١) الحضارة الغربية على شفا جرف هار ص(٨٧)نقلًا عن مجلة المجتمع.

الجنسية، كما يقرر أنها متجهة إلى الاتجاه نفسه الذي أدى إلى سقوط الإمبراطورية الإغريقية ثم الإمبراطورية الرومانية في الزمن القديم!!»(١).

وفي تقرير لجنة الكونجرس الأمريكي لتحقيق جرائم الأحداث في أمريكا الذي نقلته مجلة التحرير (العدد ٢٣٤) تحت عنوان: «أخلاق المجتمع الأمريكي منهارة»:

وهو يشير إلى نسبة تعاطي المخدرات بين الأحداث وانتشار الحانات التي تقدم الخمور، وكتب الجنس، وقصص الجنس، وأفلام الجنس، وانتشار نوادي العراة بكثرة مخيفة على الشواطئ الشرقية الخاصة»(٢).

وليس هذا في أمريكا فقط، وإنما في أي مجتمع أوروبي شاعت فيه الفاحشة، والوثائق على ذلك كثيرة إلا أننا نكتفي بهذا!!.

---

(١) «حصوننا مهددة من داخلها» (ص١٨٤).
(٢) السابق (ص١٨٤).

مواجهة الخطر

لقد أصبحت أوروبا وأمريكا مزرعة للرذائل اليهودية، ووصل بهم الحال إلى ما ذكره عقلاؤهم محذرين قبل انهيارهم وهلاكهم، وهم كذلك إلى انهيار ما لم يؤمنوا بالله وحده لا شريك له!!.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود:١٠٢].

فقامت حكومتهم تواجه ما زرعته أيديها في يوم من الأيام فسنت قوانين ونظمت برامج لمواجهة هذا الخطر!!.

«وسبحان الله والله أكبر».

أمريكا

في سنة ١٩٦٢م صرح كنيدي بأن: «مستقبل أمريكا في خطر، لأن شبابنا مائع، منحل، غارق في الشهوات، لا يُقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين؛ لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية!!».

ونشرت «جريدة المسلمون» عدد٦٦٥الجمعة: ٣٠جمادي الآخرة سنة ١٤١٨هـ. ٣١ أكتوبر ١٩٩٧م ما يلي: «الكونجرس الأمريكي صَوَّت لصالح إنفاق (٥٠)مليون دولار على برامج تعليمية، تشجع أبناء المدارس على العفة!! ورأى الكونجرس أن انتشار الأغشية وموانع الحمل تشجع الأطفال على الإباحية «الزنا» ويهدف من وراء حملته إلى: تقليص عدد الأطفال المولودين لأمهات غير متزوجات، وحالات الأمراض الجنسية»اهـ.

روسيا

في سنة ١٩٦٢م صرح «خروشوف» بأن مستقبل «روسيا» في خطر، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها لأنه مائع، منحل، غارق في الشهوات!!

السويد

في شهر أبريل سنة ١٩٦٤م أثيرت في السويد ضجة كبرى عندما وجه(١٤٠) طبيبًا من الأطباء المرموقين مذكرة إلى الملك والبرلمان يطلبون فيها اتخاذ إجراءات للحد من الفوضى الجنسية التي تهدد - حقًا- حيوية الأمة وصحتها، وطالب الأطباء بسن قوانين ضد الانحلال الجنسي!!.

فرنسا

تقدم قول «بيتان» عقب هزيمة بلاده أمام الألمان في الحرب العالمية الثانية، ومن أجل مواجهة ذلك: أصدر تشريعًا يحدد للمرأة قياس ثوبها، وأكمامها بشكل يستأصل دابر الفتنة!!.

صدق الله - عزَّ وَجلَّ - حيث قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

مظاهرة صاخبة

نظم الشباب الفرنسي من جميع الألوان مظاهرة صاخبة كبيرة في شوارع العاصمة باريس مطالبين بالعودة إلى الزواج التقليدي الذي يضمن الرعاية وشرعية الأبناء والميراث في إطار الأسرة، ورفض المتظاهرون - الذين وصل عددهم إلى ستين ألفًا- التشريع الجديد المعروض على الجمعية الوطنية

بإقرار الزواج المدني الذي لا يضمن حقوقًا للطرفين، ولا يبالي بنوعيهما، ولا يضع أية شروط»(١).

بريطانيا

جاء في جريدة الجمهورية بتاريخ (٢٥/ ١/ ٢٠٠١) ما يلي:

بعد انتشار ظاهرة «الحمل» بدون زواج في أوروبا «جمعيات نسائية تدعو إلى العفة والفضيلة»، وتحته ما يلي:

أدت الممارسات الجنسية بغير زواج «الزنى» إلى عدة مشاكل في بريطانيا منها:

✿ انتشار حمل المراهقات حتى أصبحت مدينة «شيلفد» عاصمة حمل المراهقات في أوروبا.

---

(١) «جريدة الجمهورية» الاثنين:٩/ ١١/ ١٩٩٨

أصبحت «لندن» عاصمة الأمراض السرية بعد أن أشارت الإحصائيات إلى ارتفاع كبير في نسبة المترددين على العيادات التي تعالج هذا النوع من الأمراض أي: الناتجة عن الزنا.

وفي مقابلة هذا الفساد قامت جمعيات نسائية وبعضها من فتيات صغيرات تدعو إلى العفة والفضيلة، وأن تحافظ الفتاة على بكارتها حتى تتزوج!.

وتجد هذه الجمعيات دعمًا من الحكومة، والتي بدأت حملة مماثلة تحت شعار «الصحيح أن تظلي عذراء».

ومن الحين والآخر تطالع الصحف البريطانية قراءها عن الشخصيات البارزة في هذه الجمعيات.

وجاء في كلام إحدى الفتيات في (١٦سنة) عضو في هذه الجمعيات:

معظم الفتيات في بريطانيا تفقد الواحدة منهن بكارتها في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، والغريب أنها في هذا

السن تكون أكثر حرصًا بزعم أن ذلك يزيد من ثقتها بنفسها، ويزيد من إعجاب الشباب بها.

والأغرب من ذلك أنها تشعر بالخجل إذا بلغت سن الخامسة عشرة وهي ما زالت عذراء!.

تقول: وهذا في الحقيقة دليل حماقة وجهل، وتنهار حياة الفتاة إذا صاحبها حمل!اهـ.

وفي جريدة الجمهورية أيضًا بتاريخ: ٤/ ٨/ ٢٠٠٥ جاء ما يلي: «حمل المراهقات مشكلة إنجليزية» وتحته:

منذ سنوات بدأت الحكومة البريطانية حملة للتحذير من حالة الفوضى الجنسية، وركزت التحذيرات على حمل المراهقات اللاتي تصل أعمارهن أحيانًا إلى (١٢،١٣ سنة)، ورغم مرور عدة سنوات على الحملة إلا أنها لم تحقق نجاحًا يذكر، ولا تزال معدلات حمل المراهقات في تزايد مستمر.

وذكرت مثالًا على ذلك: شقيقات ثلاث يحملن بدون زواج في عام واحد أعمارهن(١٤،١٦،١٨سنة) الأم تدافع عن بناتها بقولها:

إنها تشفق على بناتها لأنهن ضحية النظام التعليمي الفاشل في بريطانيا الذي يتعين أن يوفر الثقافة الجنسية للأطفال في وقت مبكر!.

يقول: «هيوديفيز» خبير الاجتماع: إن المشكلة ليست في نظام التعليم الذي يهمل التثقيف الجنسي في سن مبكرة، وإنما يرجع إلى نظام التعليم المختلط في سن المراهقة الذي حذر من أخطاره خبراء التعليم أكثر من مرة مؤخرًا...ولكن بلا جدوى!. فهل من معتبر؟!.

يا دعاة الفتنة

يا من تنظرون لكل غربي بعين الإجلال والتعظيم، وتودون لو أن مجتمعات المسلمين على شكله؛ فقطعتم على

الناس طريقهم إلى الله – تعالىٰ -، وأشعلتم نار الفتنة بين الرجال والنساء...ماذا تريدون بعد ذلك؟!!.

هاهي أمريكا وأوروبا - أم الفسق والفجور ومزرعة الرذيلة اليهودية - يواجهون خطر فتنة المرأة بأساليب واجه بها الإسلام فتنة المرأة؛ فلا يسعكم - إن كنتم مسلمين - إلا الرجوع إلى دين الله - عَزَّ وَجَلَّ - والالتزام به، ودعوة الناس إلى الفضيلة والعفة، ومنع انتشار الرذائل والفواحش بين المسلمين. كفاكم ما أوقدتموه من نار الفتنة، وأفسدتم به البلاد والعباد، وتوبوا إلى الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

كالعيس في البيداء يقتلها الظما

والماء فوق ظهورها محمول

الإسلام ومواجهة فتنة النساء

لقد قدمنا نماذج من مجهودات قوم كفار لمواجهة الانحلال في مجتمعاتهم وهي من وسائل الإسلام لتجفيف منابع الفتنة بالمرأة!!، فهل نجحوا في شيء من ذلك؟!! الجواب واضح ومعلوم: لا!!

بل ازداد الزنى وتوابعه ازديادًا طاغيًا بما يسمى اليوم بـ: «الثورة الجنسية» لماذا؟!! مع أن هذه وسائل واجه بها الإسلام الفتنة!!.

«لأن هذه القوانين التي سنوها من وضع الإنسان، أما وسائل الإسلام من وضع ربّ الإنسان، وهذا فرق هائل بين الإسلام وغيره؛ فالإسلام دين الله الحق الذي هو واجب الاتباع وما سواه باطل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال أيضًا: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال أيضًا:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

فهو دين كامل لا نقص فيه من عند الله - عَزَّ وَجَلَّ - وهذا يجعله يظفر بقدر كبير جدًا من الهيبة والاحترام من قبل المؤمنين مهما كانت مراكزهم الاجتماعية وسلطانهم الدنيوية، وفي هذا ضمان إذ ليس لها سلطان على النفوس، ولا تقوم على أساس من العقيدة والإيمان كما هو الحال بالنسبة للإسلام، ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفتها كلما وجدت فرصة لذلك،ورأت في هذه المخالفة اتباعًا لأهوائها وتحقيقًا لرغباتها...» [1]اهـ.

---

(١) بتصرف من«أصول الدعوة» د: عبد الكريم زيدان (٤٦،٥٠).

ودليل ذلك في أي مؤمن؛ فإنه لا يقرب الزنى أو شرب الخمر أو السرقة أو غير ذلك لأن الله حرمه، وإذا كان مرتكبًا لشيء من هذه القاذورات ثم ذُكِّر بالله - عَزَّ وَجَلَّ - فإنه يتركه مهما كان عظم هذا المنكر عنده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ونعم جيلًا جيل الصحابة رضي الله عنهم في هذا الباب!.

والأمثلة فيهم على ذلك كثيرة منها:

لما أنزل الله - عَزَّ وَجَلَّ - تحريم الخمر بقوله - تعالىٰ -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا

يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

لم يقولوا: لا نستطيع؛ أو: تعودنا عليها - وهي بالنسبة لهم في بيوتهم كالماء المخزون في القِرَب، بل قالوا: «انتهينا ربنا...انتهينا ربنا» لما قرئت الآية على عمر رضي الله عنه قال: «انتهينا»(١).

وعن أنس قال: «كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ البسر والتمر؛ فإذا منادٍ ينادي! قال: اخرج فانظر. فإذا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت فجرت في سكك المدينة! قال: فقال أبو طلحة: اخرج فأهرقها فهرقتها...» (٢).

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي من طرق، قال ابن كثير: وصحح الحديث علي بن المديني والترمذي. «التفسير» (٢/ ٩٤).
(٢) أخرجاه في الصحيحين.

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: «بينا نحن قعود على شراب لنا، ونحن على رَمْله، ونحن ثلاثة أو أربعة وعندنا باطيةٌ لنا، ونحن نشرب الخمر حِلا (حلالًا لم تحرم بعد) إذ قمت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه إذ نزل تحريم الخمر.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ .. ﴾ إلى آخر الآيتين ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾.

قال: وبعض القوم شربته في يده، قد شرب بعضها، وبقي بعض في الإناء؛ فقام بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجّام ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا: انتهينا ربنا»(١).

تقول عائشة رضي الله عنها: «إن لنساء قريش لفضلًا، وإني - والله- ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا لكتاب

(١) رواه ابن جرير.

الله، ولا إيمانًا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ الآية.

انقلب الرجل إليهن يتلو عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله في كتابه؛ فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان»(١).

وعند البخاري بسنده عنها رضي الله عنها أيضًا: «يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْـمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا».

عن أبي أمامة رضي الله عنه: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ

(١) رواه أبو داود، وابن أبي حاتم.

عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ: ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا فقَالَ: اجلس فَجَلَسَ.

قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**».

قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**».

قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**».

قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**».

قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**».

قَالَ: لَا وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**».

قَالَ: أي أبو أمامة: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَه**» قالُ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»(١).

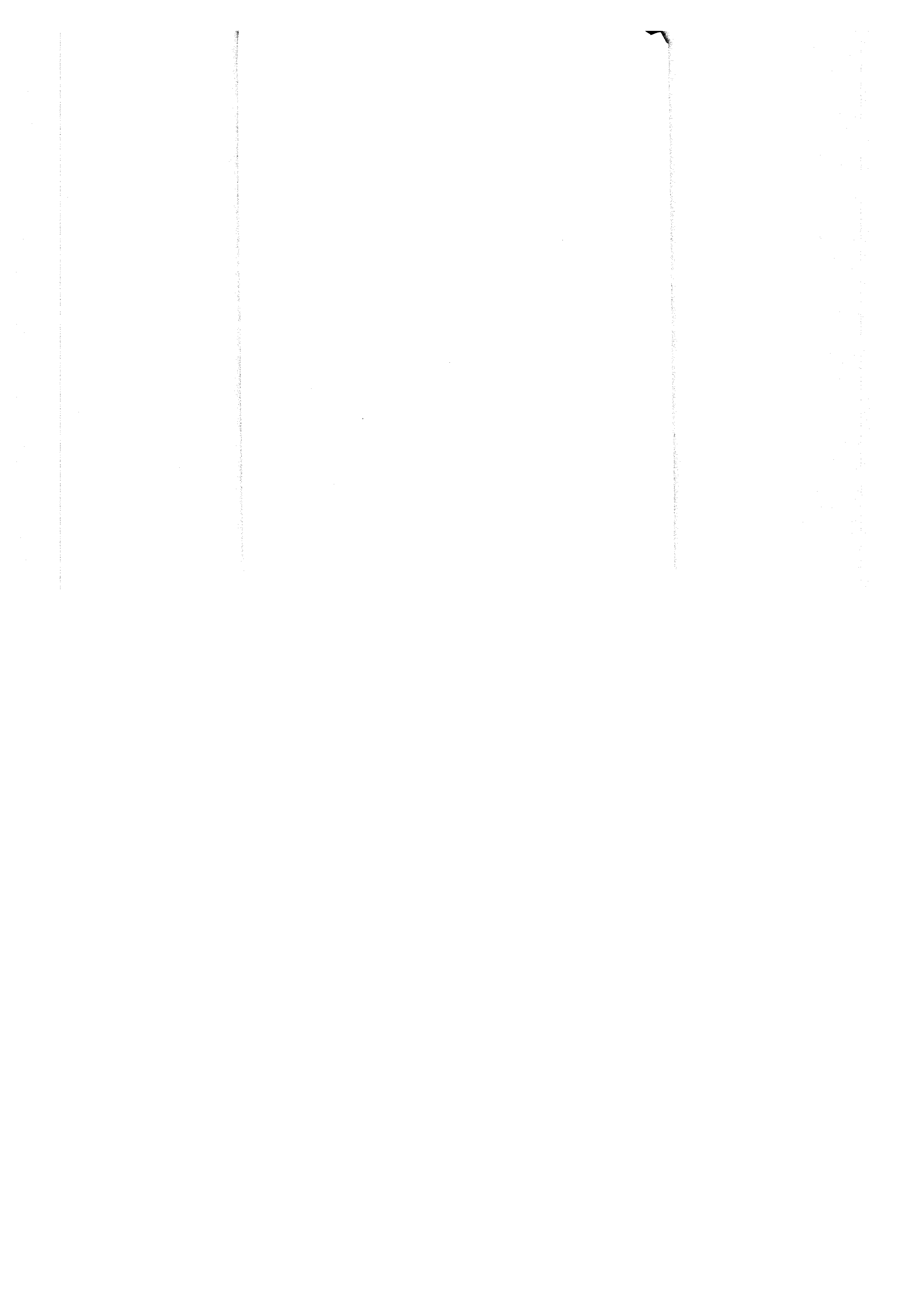
وهكذا سارت قافلة الإيمان عفة، وطهارة، ونقاء...إلى أن خَلَفَهم خَلف بشر، ضَعُفَ إيمانُهم، واتبعوا شهواتهم، ومُسِخَتْ فطرتهم، وطُمِست هويتهم فنظروا إلى غرب يعبون من الشهوات عبًا؛ فكان الفساد وانتشار المنكرات وهذا نذير الهلاك!!.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥].

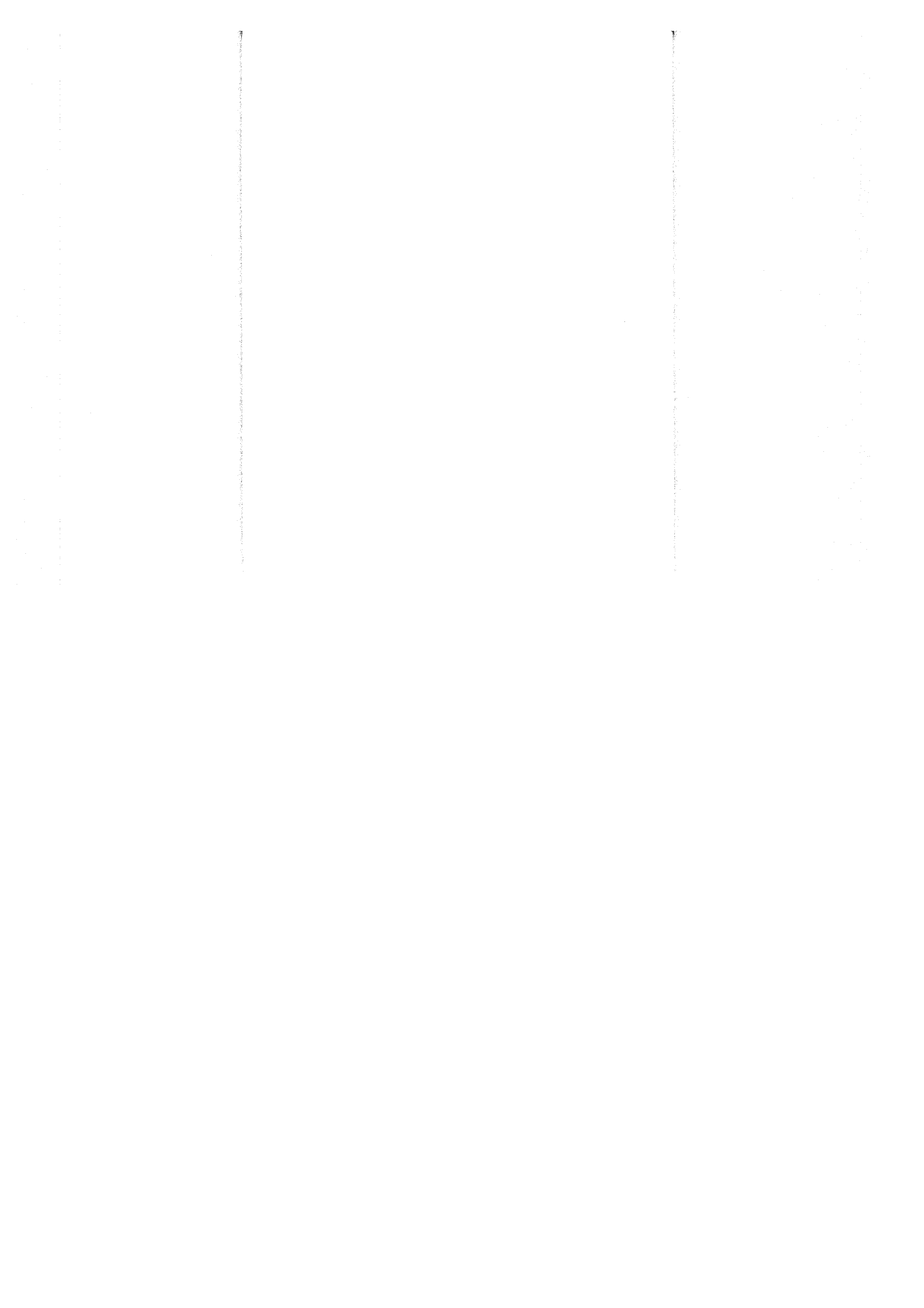
وإذا أردنا النجاة فعلينا الرجوع إلى الإسلام.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (ح٢٢١١٢)، وقال محققه: «حمزة الزين»: إسناده صحيح، وهو عند الطبراني في «الكبير»(٨/ ١٩٠) رقم (٧٦٧٩)، والبيهقي (٩/ ١٦١)اهـ.




فتنة النساء
وسائل الإسلام
لتجفيف منابع الفتنة



وسائل الإسلام لتجفيف منابع الفتنة(١)

حَرَّم الزنى والأسباب المفضية إليه:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢]

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨،٧٠].

---

(١) ينظر في ذلك حجة الله البالغة (٢/ ١١٥،١١٤ومابعدها)، و«عودة الحجاب» (٣/ ٢٧) وما بعدها.

وقال ﷺ في خطبة صلاة الكسوف: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ اللهِ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ تَزْنِي يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» ثم رفع يديه فقال: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**»(١).

وقال ﷺ : «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٢).

وقال ﷺ : «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا**

(١) رواه البخاري، ومسلم.
(٢) رواه البخاري، ومسلم.
(٣) رواه الحاكم، وحسنه الألباني.

إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا»(١).

ويُعَذِّب الزناةُ في قبورهم إلى يوم القيامة كما قال النبي ﷺ في حديث الرؤيا الطويل وفيه: «**فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ**» قَالَ: عَوْفٌ وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ: «**وَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ**» قَالَ: «**فَاطَّلَعْتُ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهِيبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا**»(٢) قَالَ: قُلْتُ: «مَا هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «**انْطَلِقْ انْطَلِقْ... وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي بِنَاءٍ مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي**»(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني بشواهده الصحيحة (١٠٦).

(٢) ضوضوا: أي صاحوا من شدة حره.

(٣) رواه أحمد.

وفي حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر منامًا وفيه: «**ثم انطلق بي، فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، كأن ريحهم المراحيض، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني**»(١).

قال الحافظ: «روى الطبراني بسند جيد عن أبي أمامة فذكر حديثًا فيه أشياء يشبه بعضها ما جاء في حديث سمرة، لكن يظهر من سياقه أنه حديث آخر» اهـ(٢).

وعن ميمونة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد**

---

(١) رواه ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، واللفظ لابن خزيمة، وقال الحافظ لا علة. قاله المنذري، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣٩٣ صحيح).

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٤٦٠).

الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب»(١).

وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يا نعايا العرب يا نعايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الزنى والشهوة الخفية**» رواه الطبراني في «تهذيب الآثار»، والبيهقي في «شعب الإيمان»(٢).

---

(١) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٤٠٠).

(٢) قال ابن الأثير رحمه الله: وفي رواية« يا نُعْيانَ العرب» يقال: نعَى الميِّتَ يَنْعاه نَعْيًا ونعِيًّا، إذا أذاعَ موته، وأخْبَر به، وإذا ندَبَه.

قال الزمخشري: انظر «الفائق ٣/ ١٠٩» في نعايا ثلاثة أوجُه:أحدها: أن يكون جمع نَعّي، وهو المصدر، كصفي وصفايا،والثاني: أن يكون اسم جمع، كما جاء في أخِيَّة: أخايا، والثالث: أن يكون جمع نَعَاءِ، والتي هي اسم الفعل، والمعنى يا نعايا العرب جئن فهذا وقتكن وزمانكن، يريد أن العرب قد =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»(١).

هلكت. والنعيان مصدر بمعنى النَّعْي. وقيل: أنه جمع نَاع، كَراعٍ ورُعْيان. والمشهور في العربية إن العرب كانوا إذا مات منهم شريفٌ أو قُتِل بَعَثوا راكبًا إلى القبائل يَنْعاه إليهم، يقول: نَعاءِ فلانًا، أو يا نعاء العرب: أي هلك فلان، أو هلكَت العرب بموت فلان. فنعاء من نَعَيتُ: مِثل نَظار ودَراكِ.

فقوله «نعاء فلانًا» معناه انْعَ فلانًا، كما تقول: دَرَاكِ فلانًا: أي ادْركه؛ فأما قوله يا نعاء العرب، مع حرف النِداء فالمُنادَى محذوف، تقديره: يا هذا انْعَ العرب، أو يا هؤلاء انعَوا، بموت فلان، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي يا هؤلاء اسجدوا، فيمن قرأ بتخفيف ﴿أَلَا﴾.اهـ. «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٨٦).

(١) رواه مسلم، والنسائي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله قَالَ: **«أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»** قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»** قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: **«ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»**(١). [**حليلة جارك أي**: زوجته].

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: **«ما تقولون في الزنا قالوا حرام حرمه الله - عَزَّ وَجَلَّ - ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة»** فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: **«لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره»**(٢).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم. و«حليلة جارك» أي: زوجته.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني، في «الكبير والأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٤٠٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما رفع الحديث قال: «مثل الذي يجلس على فراش المغيبة مثل الذي ينهشه أسود من أساود يوم القيامة»(١). المغيبة: المرأة التي غاب عنها زوجها.

وجعل الله - عَزَّ وَجَلَّ - عقوبته أشد عقوبة لأنه يجمع خلال الشر كلها منها:

- قلة الدين، ضعف الورع، فساد المروءة، وقلة الغيرة، وعدم مراقبة الله.
- غضب الربّ - جل وعلا - بإفساد حرم أخيه وعياله.
- سواد الوجه وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين.
- الفقر اللازم.

---

(١) قال المنذري: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٤٠٥).

- يذهب حرمة فاعله، ويسقطه عند ربّه، ومن عين عباده.
- يسلبه أحسن الأسماء وهو: اسم العفة، والبر، والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر، والفاسق، والزاني، والخائن.
- يسلبه اسم المؤمن كما قال النبي ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».
- يُعرِّض الزاني نفسه لسكنى التنور في القبر.
- يفارقه الوصف الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزناة كما قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور:٢٦].

وقد حرم الله الجنة على كل خبيث، وجعلها مأوى الطيبين.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢].

والزناة من أخبث الخلق، وقد جعل الله جهنم دار الخبيث وأهله.

- يجعل الله في قلب الزاني وحشة، وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهه؛ فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي قلبه أنس، ومن جالسه استأنس به، والزاني تعلو وجهه الوحشة، ومن جالسه استوحش به.
- أن الناس ينظرون إليه بعين الخيانة، ولا يأمنه أحد على حرمه ولا على ولده.
- ومنها: رائحة تفوح من فمه وجسده يشمها كل ذي قلب سليم، ولولا اشتراك الناس في هذه الرائحة لفاحت من صاحبها، ونادت عليه.
- ومنها: أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن.

وبالجملة فهي أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة»[١] اهـ.

ولأن الجزاء من جنس العمل؛ فقد ينتقم الله - تعالىٰ - من الزاني بأن يسلط على عرضه من لا يتقي الله؛ فينال منه كما فعل هو بعرض غيره.

يا هاتكًا حرم الرجال وتابعًا ... طرق الفساد فأنت غير مكرمِ

من يزنِ في قوم بألفي درهم ... في أهله يُزنَى بربع الدرهمِ

إن الزنى دَينٌ إذا استقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلمِ

عقوبة الزنا

جعل الإسلام عقوبة الزنا أشد عقوبة وهي: جلد الزاني البكر، ورجم المحصن، أي: المتزوج قبل الزنا وجامع امرأته

---

(١) بتصرف واختصار من «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم (ص: ٣٦٠،٣٦٣).

في نكاح صحيح «فأما الزاني البكر الحر فإنه يجلد مائة جلدة ويُغَرَّب سنة، ودليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور:٢].

ويغرب عامًا لحديث النبي ﷺ في حديث العسيف الذي زنى بامرأة الرجل الذي كان أجيرًا عنده: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ الله، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ»**(١).

وقال النبي ﷺ: **«خُذُوا عَنِّي فَقَدْ جَعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلًا الثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ الثَّيِّبُ جَلْدُ مِائَةٍ ثُمَّ رَجْمٌ بِالْحِجَارَةِ وَالْبِكْرُ جَلْدُ مِائَةٍ ثُمَّ نَفْيُ سَنَةٍ»**(٢).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.
(٢) رواه مسلم.

وأما الزاني المحصن فعقوبته أشد: الرجم بالحجارة حتى الموت ودليل ذلك آية منسوخة تلاوة وباقية حكمًا: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله، والله عزيز حكيم».

وقوله - تعالىٰ -: وهي آية باقية تلاوة وحكمًا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران:٢٣].

على القول بأنها نزلت في رجم اليهوديين الزانين بعد الإحصان، وقد رجمهما النبي ﷺ كما ثبت في الصحيح «أن النبي ﷺ رجم يهوديين بعد الإحصان».

ولما ثبت من رجم النبي ﷺ للغامدية وماعز الأسلمي رضي الله عنه، هذا ولحد الزنى تفصيلات أخرى معروفة في كتب الفقه، ليس هذا موضع تفصيلها، وليس الغرض من إقامة الحد: أن الناس يرتكبون الزنى ثم يجلدون أو يرجمون،

بل الغرض منه: تطهير المجتمع من الفساد وويلات الزنا، والحيلولة دون ارتكابه في المجتمع حيلولة تامة، ولذلك نرى الإسلام قد وضع الوسائل اللازمة لحماية المجتمع من مفاسد الزنا حتى لا يُقام الحد على الناس- وهي ما سنذكرها بعد إن شاء الله - .

الزواج

جعل الإسلام الزواج وسيلة مشروعة لتحصين الفرج من الزنا، وأمر به لمن استطاع مؤنته، ومن لم يستطع فيأمره بالاستعفاف حتى يغنيه الله من فضله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٣٢].

وقال ﷺ: «**يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(٢).

قال رجل من أصحاب النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: «تبًا للذهب والفضة، قال عمر: يا رسول الله، قولك تبًا للذهب والفضة فما تأمرنا أو ما

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.

نصنع؟ قال رسول الله ﷺ: لسانا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا وزوجة تعين على الآخرة»[1].

ولقد جعل الله- تعالىٰ - الزواج آية من آياته حيث قال:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

وأمر كلا الزوجين بالمعاشرة بالمعروف، وأن يعطي كل واحد منهما للآخر حقه، ويلتزم بما عليه من واجبات؛ فقال الله - تعالىٰ -: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء:١٩].

وقال أيضًا: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة:٢٢٨].

---

(١) حسن: رواه أحمد في «الزهد»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع».

والزواج طاعة وعبادة لله - تعالىٰ - يُؤجر فيه الإنسان على قضاء وطره «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»، وعلى إطعامه زوجته وولده «حتى اللقمة يضعها في فيّ امرأته صدقة».

والزواج عصمة من الفتنة؛ قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : «لو لم يبق من عمري إلا ليلة لأحببت أن تكون لي فيه زوجة خوف الفتنة».

و لما توفيت زوجة أحد الصحابة قال: «زوجوني.. زوجوني؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني أن لا ألقاه أعزب»[1].

وهو إعانة على الدين؛ قال صلى الله عليه وسلم :«إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي»[2].

---

(١) «اللطائف والظرائف» لأبي نصر المقدسي (ص:١٢٧)

(٢) حسن. «صحيح الجامع» (ح ٤٣٠)

وتكفل الله - تعالىٰ - لمن أراد تعففًا أن يُغنيه وأن يُعينه، قال ﷺ: «حق على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله»(١).

وبالزواج تكون الأسرة التي يتربى الأولاد في كنفها ودفئها؛ فينشئون على عبادة الله وكريم الآداب وجميل الأخلاق؛ فيكونون بذلك أعضاء صالحين في المجتمع المسلم! وهذا فيه الأجر العظيم من الله - تعالىٰ - وكلٌّ منا يسعى لتحصيل الحسنات فوزًا برضوان الله وجنته، وهربًا من عقابه، وهذا باب من أبواب ذلك. قال ﷺ: «**إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله**»(٢).

---

(١) حسن. السابق (ح ٣١٥٢)
(٢) صحيح. السابق (ح١٤٢٨)

وقـال ﷺ :«مَـنْ ابْـتُلِيَ بِـشَيْءٍ مِـنْ هَـذِهِ الْبَنَـاتِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ»(١).

وقال ﷺ : «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ هكذا وَضَمَّ أَصَبِعَيهُ»(٢).

كما أنه يكون ذخرًا لـه بعـد وفاتـه قـال ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عملـه إلا مـن ثـلاث... ولـدٍ صـالحٍ يـدعو له»(٣).

وقال ﷺ : «إن العبد لَتُرْفَعُ له الدرجةُ فيقُـول: أي ربِّ أنى لي هذا؟ فيقول: «استغفار ولدك لك من بعدك»(٤).

---

(١) صحيح. رواه أحمد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح. رواه ابن ماجه.

إلى آخر ذلك من فوائد الزواج الذي أحله الله - تعالىٰ - والحمد لله على نعمائه التي لا تُحصى عددًا.

أين هذا من الخليلات، وتنقل الرجل من امرأة إلى أخرى، وكذلك المرأة !.ليس لهم همّ إلا قضاء الوطر هروبًا من مسئولية تربية الولد!.

وفي البلاد الغربية نقص شديد في عدد المواليد لماذا؟!

أولًا: لفقد الخصوبة عند الرجال والنساء بسبب ممارسة الزنا منذ الصغر.

وثانيًا: لأنهم لا يرغبون في الولد بسبب الحياة المادية، يقول الرجل: آتي بولد أنفق عليه، وعندما يكبر يضربني ويشتمني ويعقني... إلى آخر ذلك.

إنها الحياة بغير الله، ليس فيها إلا بؤس وشقاء وضياع!.

فأين هذا من هذا؟

أين الكفر من الإسلام؟

وأين الثرى من الثريا؟

فالحمد لله على نعمة الإسلام.

ولكي يصح الزواج في الإسلام فلابد من ركنين أساسين لا يصح الزواج إلا بهما الإيجاب والقبول، وخمسة شروط:

١ – رضى زوجين مكلفين.

٢– الولي.

٣– الشاهدين.

٤ – تعيين الزوجين.

٥– خلو الزوجين من الموانع[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور:٣٣].

---

(١) «منار السبيل» (٢/ ١٤٦) وانظر: للاستزادة كتابنا «على عتبات الجامعة».

التعفف عن الزنا

لقد جعل الله - تعالىٰ - التعفف عن الزنا، والتصوُّنَ منه من صفات المؤمنين المفلحين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:١-٧].

والمتعفف عن الزنا مع وجود الدواعي في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظل عرشه جزاءً من ربك عطاءً حسابا!!.

قال النبي ﷺ : «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ**

وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ...» (١).

وقال ﷺ: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ...**»(٢).

مواقف إيمانية في التعفف والعفاف!!

إن من أعظم المواقف على الإطلاق:

موقف نبي الله الكريم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي فيه أبلغ دليل على فضيلة العفة وحسن عاقبتها.

فلقد كان الداعي الذي اجتمع في حقه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يجتمع في حق غيره.

فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان شابًا - والشباب مركب الشهوة - وكان عزبًا ليس عنده ما يعوضه، وكان غريبًا عن أهله

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) جزء من حديث متفق عليه.

ووطنه، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم أن يعلموا به؛ فيسقط من أعينهم؛ فإذا تغرب زال هذا المانع، وكان في صورة المملوك، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليس كذلك، وكانت المطالِبة فيزول بذلك كلفة تعرُّضِ الرجل وطلبهِ، وخوفهِ من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب: الرغبة التامة، والمراودة التي يزول معها ظن الامتحان والاختبار ليعلم عفافه من فجوره، وكان في محل سلطانها وبيتها، بحيث تعرف وقت الإمكان، ومكانه الذي لا تناله العيون، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب لتأمن هجوم الداخل على بغتة وأتته الرغبة والرهبة ومع هذه كله فعف لله ولم يطعها!!، وقدم حق الله، وحق سيدها على ذلك كله!!.

وهذا أمر لو ابتلي به سواه لم يعلم كيف تكون حاله؟!.

فإن قيل: فقد هَمَّ بها!!.

قيل: عنه جوابان:

إحداهما- أنه لم يهم بها، بل لولا أن رأى برهان ربّه همّ. هذا قول بعضهم في تأويل الآية.

الثاني - وهو الصواب: أن همّه كان هَمُّ خطرات؛ فتركه لله؛ فأثابه الله عليه، وهَمُّها كان همَّ إصرار بذلت معه جهدها فلم تصل إليه... فلم يستو الهمان.

قال الإمام أحمد رحمه الله: الهم همان: هم خطرات وهم إصرار؛ فهم الخطرات لا يؤاخذ به، وهم الإصرار يؤاخذ به(١).

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف:٢٣].

---

(١) بتصرف من «روضة المحبين..» (ص٣١٨،٣١٩).

مريم الصِدِّيقة عليها السلام

تلكم الصِدِّيقة الطاهرة، دعوة أمها الصالحة، فلقد كانت أمها لا تَحمَل... فرأت يومًا طائرًا يزق فرخه؛ فاشتهت الولد فدعت اللهَ - تعالىٰ - أن يهبها ولدًا؛ فاستجاب الله دعاءها؛ فواقعها زوجها؛ فحملت منه؛ فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محررًا. أي: خالصًا مفرغًا للعبادة لخدمة البيت المقدس فقالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران:٣٥].

أي: السميع لدعائي، العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكرٌ أم أنثى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران:٣٦].

أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى

﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:٣٦].

أي عوذتها بك من شر الشيطان، وعوذت ذريتها وهو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فاستجاب الله لها ذلك!!.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**»(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

أي: تقبلها ربها نذيرة، وأنه أنبتها نباتًا حسنًا بأن جعلها شكلًا مليحًا، ومنظرًا بهيجًا، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلهذا قَالَ اللهُ تَعَالَى :﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾.

زوج خالتها نبي الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا من سعادتها لتقتبس منه علمًا جمًا نافعًا، وعملًا صالحًا!.وظلت تعبد الله - عَزَّ وَجَلَّ - في

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

محل عبادتها بالمسجد حتى حصل لها كرامات ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ [آل عمران:٣٧]. وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

فقال لها زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ من أين لك هذا؟ يا مريم أنى لك هذا؟ ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران:٣٧].

فلما أراد الله تعالى - وله الحكمة والحجة البالغة- أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام. - تعالى -

﴿ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ أي: اعتزلتهم وتنحت وذهبت إلى شرق المسجد الأقصى لأمر ما، الله أعلم به.

﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ أي: استترت منهم وتوارت... فأرسل الله – تعالى - جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ أي: على سورة إنسان كامل، تبدَّى لها في

مكان منفرد، وبينها وبين قومها حجاب..فخافته وظنت أنه يريدها على نفسها..فذكرته بالله - تعالى -: ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ أي: إن كنت تخاف الله - عَزَّ وَجَلَّ - وقد علمت أن التقى ذو نهية.- تعالى -

يقال: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ انتفض فرقًا وعاد إلى هيئته عندما ذكرت له الرحمن فقال مزيلًا لما حصل عندها من الخوف على نفسها: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ قالت متعجبة: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ أي: كيف يكون لي غلام أي: على أي صفة يوجد هذا مني ولست بذات زوج ولا يتصور مني الفجور فقال: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم:٢١]. أي: أن هذا في قدرة الله شيء سهل هين، وليكون خَلْقُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنثى بلا ذكر دلالة وعلامة للناس

على قدرة بارئهم وخالقهم، وأن يجعله رحمة من الله نبيًا من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله – تعالىٰ - وتوحيده.

وهذا أمر مقضي قد عزم الله عليه فليس منه بد فاستسلمت عليها السلام لأمر ربها؛ فنفخ جبريل عليه السلام نفخة في جيب درعها، فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج؛ فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج؛ فحملت بالولد بإذن الله- تعالىٰ - ولما حملت به ضاقت به ذرعًا، ولم تدر ما تقول للناس فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم مكانًا قصيًا بعيدًا لئلًا تراهم ولا يرونها. قال تعالىٰ: ﴿ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴾؛ فاضطرها الطلق إلى جذع نخلة في المكان الذي تنحت إليه وهو:«بيت لحم» على المشهور. قال تعالىٰ: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾ فتمنت الموت وأنها لم تخلق لأنها عرفت أنها سَتُبتلى بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في

خبرها، وبعد أن كانت - عندهم - عابدة ناسكة تصبح عندهم - فيما يظنون - عاهرة زانية!!.

إن هذا والله لهو البلاء المبين، فَهوَّن الله عليها بلاءها، ورحمها فإنه هو الرحمن الرحيم بعباده الصالحين إذا ابتلاهم.

فناداها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على أحد القولين[1] من تحتها قائلًا: لا تحزني ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾ أي: جدولًا تشرب منه ولهذا قال بعده:

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا ﴾ أي طيبي نفسًا، ومهما رأيت من أحد فقولي: ﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ أي: صمتًا إلا إشارة فإني سأكفيك الكلام..فسلمت

---

(١) الثاني: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ .

أمرها لله - تعالى - فأخذت ولدها فأتت به قومها تحمله، فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه جدًا.

قال تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[1] .

هكذا رأينا كيف طُهْرُ السيدة الطاهرة، وعفتُها، وأَنَفتُها، وتمنيها الموت عندما وضعت ابنها لأن قومها سوف يستنكرون أمرها.. فدافع الله عنها، وخفف عنها واجتباها ومدحها!!.

---

(١) بتصرف من «تفسير ابن كثير» ج٣(١٢٣، ١١٧).



قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٤٢].

وقال أيضًا: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم:١٢].

وقال أيضًا: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾.

الْكِفْلُ رحمه الله

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كان فيمن كان قبلكم رجل اسمه: الكفل؛ وكان لا ينزع عن شيء**» وفي رواية: «**كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ عنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ أَأَكْرَهْتُكِ؟**.

قَالَتْ: لَا وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الْحَاجَةُ. فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ، وَقَالَ: لَا وَاللهِ لَا أَعْصِي اللهَ بَعْدَهَا أَبَدًا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ»(١). فعجب الناس من ذلك، حتى أوحى الله - تعالىٰ - إلى نبي زمانهم بشأنه .

شبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال حُصين بن عبد الرحمن: بلغني أن فتى من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان عمر يتفقده إذا غاب، فعشقته امرأة من أهل المدينة؛ فذكرت ذلك لبعض نسائها فقالت: أنا أحتال لك في إدخاله عليك؛ فقعدت له في الطريق فلما مر بها قالت له: إني امرأة كبيرة

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن، وابن حبان، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

السن، ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها فلو دخلت فحلبتها لي، وكان أرغبَ شيء في الخير، فدخل فلم ير الشاة؛ فقالت اجلس حتى آتيك بها، فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه فأرادته عن نفسه، فأبى، وقال: اتقي الله أيتها المرأة؛ فجعلت لا تكف عنه، ولا تلتفت إلى قوله؛ فلما أبى عليها صاحت عليه... فجاؤوا فقالت: إن هذا دخل علي يريدني عن نفسي فوثبوا عليه، وجعلوا يضربونه، وأوثقوه، فلما صلى عمر الغداة فقده؛ فبينا هو كذلك إذ جاؤوا به في وثاقه، فلما رآه عمر قال: «اللّهم لا تخلف ظني به»

قال: مالكم؟

قالوا: استغاثت امرأة بالليل؛ فجئنا.. فوجدنا هذا الغلام عندها؛ فضربناه، وأوثقناه .فقال عمر رضي الله عنه اصدقني، فأخبره القصة على وجهها؛ فقال له عمر رضي الله عنه : أتعرف

العجوز؟ فقال: نعم إن رأيتها عرفتها فأرسل عمر إلى نساء جيرانها؛ وعجائزهن.. فجاء بهن؛ فعرضن، فلم يعرفها فيهن، حتى مرت به العجوز.

فقال: هذه يا أمير المؤمنين فرفع عليها الدرة وقال: اصدقيني، فقصت عليه القصة كما قصها الفتى.

فقال عمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف!!»[1] اهـ.

عبيد بن عمير رَحِمَهُ اللَّهُ

ذكر أبو الفرج رَحِمَهُ اللَّهُ: وغيره:

أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يفتن به؟

---

(١) روضة المحبين» ص (٤٦٢).

قال نعم.

قالت: من؟

قال: «عبيد بن عمير».

قالت: فأذن لي فيه، فلأفتننه.

قال: قد أذنت لك[1].

قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام؛ فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر.

فقال لها: يا أمة الله استتري.

فقالت: إني قد فُتنت بك.

قال: إني سائلك عن شيء، فإن صدقتِني نظرت في أمرك.

قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

قال: أخبرني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟

---

(١) ولا شك في حرمة هذا الإذن.

قالت: اللّهم لا.

قال: صدقت.

قال: فلو دخلت قبرك، وأُجْلِسْتِ للمساءلة أكان يسرك أن أقضيها لك؟

قالت: اللّهم لا.

قال: صدقت.

قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم، ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيتها لك؟

قالت: اللّهم لا.

قال: صدقت.

قال: صدقت.

قال: فلو أردت الممر على الصراط، ولا تدرين هل تنجين، أو لا تنجين، أكان يسرك أني قضيتها لك؟

قالت: اللّهم لا.

قال: صدقت.

قال: فلو جيء بالميزان، وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل، أكان يسرك أني قضيتها لك؟!

قالت: اللّهم لا.

قال: صدقت.

قال: فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أن قضيتها لك.

قالت: اللّهم لا.

قال صدقت.

قال: اتقي الله فقد أنعم عليك، وأحسن إليك. قال فرجعت إلى زوجها.

فقال: ما صنعت؟

فقالت: أنت بطال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.

فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي. كانت في كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة [١].

السري بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ

قال محمد بن إسحاق:

نزل السري بن دينار في درب مصر، وكانت فيه امرأة جميلة فتنت الناس بجمالها، فعلمت به المرأة.

فقالت: لأفتننه، فلما دخلت من باب الدار تكشفت وأظهرت نفسها.

فقال: مالك؟

---

(١) ولا شك أن تزين المرأة لزوجها مما تثاب عليه إذا ابتغت به وجه الله من إعفاف زوجها ونفسها، وخصوصًا إذا طلب منها ذلك، والرهبانية ليست من الإسلام. كتبه «ياسر برهامي».

فقالت: هل لك في فراش وطئ وعيش رضي؟

فأقبل عليها يقول:

وكم ذي معاصٍ نال منهنَّ لذة ... ومات فَخَلاهَا وذاقَ الـدواهيا.

تَصرّم لذاتُ المعاصي وتنقـضي ... وتبقَى تَبعِاتُ المعاصي كما هيـا.

فيـا سـوأتا واللهُ راءٍ وسـامع ... لعبد بعين الله يغشى المعاصيا (١)

كان سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين:

تفنى اللـذاذةُ ممـن نـال صـفوتها

من الحرام ويبقى الـوزرُ والعـارُ

تبقـى عواقـب سـوءٍ في مغبتهـا

لاخير في لذةٍ من بعدها النـارُ(٢)

---

(١) «روضة المحبين» (ص:٣٣٠).

(٢) «روضة المحبين» (ص:٣٣٩).

سليمان بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ

قال مصعب بن عثمان: « كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهًا؛ فدخلت عليه امرأةٌ بيتَه؛ فسألته نفسَه فامتنع عليها!! فقالت: إذن أفضحك فخرج هاربًا عن منزله؛ وتركها فيه»(١)

عابد بني إسرائيل

قال عبد الله بن منبه:

«كان عابد من عباد بني إسرائيل يتعبد في صومعة؛ فجاء رجل من بني إسرائيل إلى بغي فبذل لها مالًا!؛ وقال: لعلك أن تفتنيه، فجاءته في ليلة ممطرة فنادته؛ فأشرف عليها.

فقالت:آوني إليك. فتركها وأقبل على صلاته.

---

(١) «روضة المحبين» (ص:٤٦٣).

فقالت: يا عبد الله آوني إليك، أما ترى الظلمة والمطر؟! فلم تزل به حتى آواها؛ فاضطجعت قريبًا منه؛ فجعلت تريه محاسنها حتى دعته نفسه إليها؛ فقال: لا والله حتى أنظر كيف صبرك على النار. فتقدم إلى المصباح؛ حتى وضع إصبعًا من أصابعه حتى احترقت... ثم عاد إلى صلاته؛ فدعته نفسه إليها؛ فعاود المصباح فوضع إصبعه الآخر حتى احترقت؛ فلم يزل تدعوه نفسه، وهو يعود إلى المصباح حتى احترقت أصابعه جميعًا(١) وهي تنظر؛ فصعقت وماتت»(٢).

---

(١) ومثل هذا مما لا يجوز أن يعذب الإنسان نفسه، وقد نهى الشرع عن تعذيب النفس، وكان الواجب عليه في شرعنا أن يمتنع من الخلوة بالأجنبية، ولو كان بأن يغادر المكان كما فعل سليمان بن يسار فما أفقهه! كتبه (ياسر برهامي).

(٢) رواه الإمام أحمد: نقلًا عن «روضة المحبين» (ص: ٤٦١، ٤٦٠).

وشبيه بقصة هذا العابد، قصة يذكرها الشيخ محمد المختار الشنقيطي في محاضرة له بعنوان: «صلاح القلوب».

وهي قصة تدل على أن الأرض لا تخلو من خير- والحمد لله - وأن قوافل الصالحين مازالت تسير...

يقول حَفِظَهُ اللَّهُ: «حَدَّثَ بَعض العلماء - رحمهم الله- من مشايخنا عن رجل سافر إلى الأزهر لطلب العلم وكان شابًا جميلًا وضيئًا، قال: فلما جاء إلى الأزهر نزل بجوار أسرة؛ وكانت في الأسرة امرأة فُتِنتْ بذلك الشاب لما رأته؛ فعقدت العزم على فتنته!!. فأراد الله أن يكون مسكنه إلى جوار ذلك البيت.

قال: كانت ليلة شديدة الريح والبرد؛ فسمع قرع الباب فإذا بتلك المرأة تصيح و تستغيث وتستجير به وقالت: إن أهلها لا يفتحون لها!!. فدهش من هول المفاجأة؛ وإذا بها داخل غرفته، فادعت ما ادعت، فما هو إلا وهي وثالثهما الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

قال رَحِمَهُ اللهُ: فلما تهيأت جاءه الشيطان، وساوره للمعصية، وكان ذلك الشاب قد عكف على كتب العلم الطيبة الطاهرة، ووجد حلاوتها في قلبه؛ فجاءه الشيطان يزين له تلك المعصية وكان السراج موقدًا؛ فقام هذا الشاب المؤمن، وأدخل إصبعه فوق السراج لكي يُذَكِر نفسه بالنار؛ ولكي يقول لها: يا نفس إن كنت تصبرين على هذه النار فافعلي ما شئت!!.

فجعلت يده تنفر(١) من شدة النار، وهو يبردها، ثم يُعيدها، والدمع يذرف من عينيه.

ويقول: يا نفس هل تطيقين على النار صبرًا (ثلاثًا).

فذعرت الفتاة، وخرجت من غرفته، ورجعت إلى أبيها، وأصبحت وقالت: والله لا أرضى عنه بديلًا، فاعرضني عليه في الحلال...فزوجه الله منها!!.عف عن الحرام؛ فعوضه الله

---

(١) نفر جلده: أي ورم.

الحلال. ناهيك عن الدرجة والمرتبة التي فاز بها من خشية الله بالغيب! باهين أمر ليس باليسير، حينما يكون شابًا باكتمال وتتزين لك هذه الدنيا أمام معصية من معاصي الله، ليس لك عليها فيها رقيب ولا حسيب إلا الإيمان الذي في قلبك الذي يدعوك أن تكون صادقًا في صلاحك، هناك تأبى، وتأبى النفس الصالحة أن تتردى في ذلك البلاء والشقاء»اهـ. بتصرف يسير.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا ليس بعجيب من الرجال، ولكنه من النساء أعجب» ثم ذكر في ذلك قصصًا منها:

قال أبو عثمان التيمي: «مر رجل براهبة من أجمل النساء؛ فافتُتِنَ بها، فتلطف في الصعود إليها فراودها عن نفسها؛ فأبت عليه وقالت:لا تغتر بما ترى، وليس وراءه شيء؛ فأبى حتى غلبها على نفسها!!. و كان إلى جانبها مجمرة، فوضعت

يدها فيها حتى احترقت فقال بعد أن قضى حاجته منها: ما دعاك إلى ما صنعت؟

قالت: إنك لما قهرتني على نفسي خفت أن أشاركك في اللذة؛ فأشاركك في المعصية؛ ففعلت ما رأيت!!.

فقال: الرجل: «والله لا أعصي الله أبدًا» وتاب مما كان عليه»[1]اهـ.

وكانت بعض النساء المتعبدات قد وقعت في نفس رجلٍ موسرٍ، وكانت جميلة، وكانت تُخطب فتأبى؛ فبلغ الرجل أنها تريد الحج؛ فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى:

---

(١) «روضة المحبين» (ص:٤٦٥). انظر التعليق السابق والمكرهة على الزنا لا حد عليها ولا ذنب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.
والإنسان أمين على جسده لا يجوز له أن يفسد شيئًا منه بغير إذن خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. كتبه «ياسر برهامي».

من أراد الحج فليكتر من فلان؛ فاكترت منه المرأة؛ فلما كان في بعض الطريق جاءها فقال: إما أن تزوجيني نفسك، وإما غير ذلك!!.

فقالت: ويحك اتق الله!!.

فقال: ما هو إلا ما تسمعين، والله ما أنا بجمال، ولا خرجت إلا من أجلك، فلما خافت على نفسها قالت: ويحك انظر أبقي في الرجال عين لم تنم؟

فقال: لا، ناموا كلهم.

قالت: أفنامت عين ربّ العالمين؟!!.

ثم شهقت شهقة خرت ميتة، وخر الرجل مغشيًا عليه، فلما أفاق قال: ويحي قتلت نفسًا، ولم أبلغ شهوتي»[1] اهـ.

---

(١) «روضة المحبين» (ص: ٤٦٦).

وغيرها كثير من قصص الذين عفُّو عن الحرام مخافة الجبار - عَزَّ وَجَلَّ -.

فاللّهم نسألك أن تحصن فروجنا، وتحفظ علينا ديننا، وأن تجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن...آمين.

أسباب عفة هؤلاء القوم(١)

- إجلالُ الجبار - جل وعلا -، ومحبته - سُبْحَانَهُ -، والحياءُ منه أن يرى عبده على معصيته فيخلي قلبه من محبته.
- الرغبةُ في الحور العين في دار القرار؛ فمن أذهب طيباته في حياته الدنيا، واستمتع بها استمتاعًا محرمًا؛ فإنه يُحْرم منها يوم القيامة؛ فلينظر العاقل لنفسه أي اللذتين يريد؟!.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ»**(١).

---

(١) «روضة المحبين» باختصار وتصرف (ص: ٣٤٤،٣٤٣)

«من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة»[٢].

ودون ذلك مرتبة:

- أن يتركها خوف النار فقط، فإنَّ تَرْكَها رغبة ومحبة أفضل من تَرْكها لمجرد خوف العقوبة، ثم أدنى من ذلك:
- أن يحمله على تركها خوف العار والشنار «أقبح العيب»، أو مراعاة للصداقة والأخوة...وغير ذلك.

فخر الشعراء

قال أحدهم:

إذا همـمنــا صَـــدَّنا وازعُ التقــى

فــولّى عــلى أعقابــه الهــمُّ خاســئًا

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.

وقال آخر:

مـا أن دعـاني الهـوى لفاحـشة　　إلا نهـــاني الحيـــاء والكـــرمُ

فـلا إلى فـاحش مـددت يـدي　　ولا مـــشت بي لريبـــة قـــدمُ

وقال آخر:

لا خـير فـيمن لا يراقـب ربّـه　　عنـــد الهـــوى ويخافـــه إيمانًـــا

حجب التقى سُبُلَ الهوى فـأخو　　التقـــى يخـــشى إذا وافى المعـــادَ

وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه:

لعمرك ما أهويـتُ كفـي لريبـةٍ　　ولا حَـملَتْني نحوَ فاحشةٍ رِجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها　　وَلا دَلَّني رأيي عليهـا ولا عقـلي

ولست بماشٍ مـا حييـتُ لُمِنكـرٍ　　من الأمر لا يمشي إلى مثلِهِ مـثلي

احفظ الله يحفظك(١)

إنَّ حفظَ العبد لفرجه من الزنى لَسَببٌ عظيم لحفظ الله - تعالى- للعبد قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ احْفَظْ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(٢).

---

(١) مستفاد بتصرف من «نور الاقتباس» لابن رجب.

(٢) صحيح. رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (ص:٧٩٥٩).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: احفظ حدود الله، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه، وحفظ ذلك هو: الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب»اهـ.

«احفظ الله يحفظك» وهذا هو الجزاء من جنس العمل.

كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ الآية [البقرة:٤٠].

وقال أيضًا: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ... ﴾ الآية [البقرة:١٥٢].

وقال: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ... ﴾ الآية [محمد:٧].

وحفظ الله للعبد يتضمن نوعين:

أحدهما: حفظه - تعالىٰ - له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده، وأهله وماله. فمن دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وآخِرَتِي، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ**

اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» رواه أبو داود. والله - عَزَّ وَجَلَّ - يحفظ عليه بدنه وقوته وعقله، وماله.

قال بعضهم: «من حفظ القرءان مُتِّعَ بعقله».

كان أبو الطيب الطبري أحد حملة مذهب الإمام الشافعي: قد جاوز المائة سنة، وهو مُمتع بعقله وقوته!؛ فوثب يومًا من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة، فعوتب على ذلك فقال: «هذه جوارح حفظناها في الصغر؛ فحفظها الله علينا في الكبر».

وعكس هذا أن الجنيد[١]: رأى شيخًا يسأل الناس فقال: « إن هذا ضيع الله في صغره، فضيعه الله في كبره» أي: ضيع أوامر الله ونواهيه.

وكان شيبان الراعي يرعى غنمًا؛ فإذا جاءت الجمعة خط عليها خطًا وذهب إلى الجمعة ثم يرجع وهي كما تركها!

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده وولد ولده كما قيل في قوله تعالى :﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ الآية [الكهف:٨٢].

«أنهما حُفِظا بصلاح أبيهما».

وقال سعيد بن المسيب لابنه: «يا بني، إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أُحفظ فيك» وتلا هذه الآية:

---

(١) هو محمد أبو القاسم من أئمة القوم وسادتهم، كان يقول: «علمنا مقيد بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرءان، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه لا يُقتدى به»

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله - تعالىٰ - في عقبه وعقب عقبه»

ومن عجيب حفظ الله - تعالىٰ - لعبده الذي حفظه: أنه يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظةً له من الأذى، وساعيةً في مصالحه!!.

كما جرى لسفينة خادم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث كُسر به المركب، وخرج إلى جزيرة؛ فرأى السبع!، فقال يا أبا الحارث - كنية الأسد - أنا سفينة مولى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فجعل يمشي حوله، ويدله على الطريق حتى أوقفه عليها ثم جعل يهمهم كأنه يودعه، وانصرف عنه!!.

وكان «أبو إبراهيم السايح» قد مرض في برية بقرب دير فقال: «لو كنت عند باب الدير لنزل الرهبان؛ فعالجوني؛ فجاء

السبع فاحتمله على ظهره حتى وضعه على باب الدير؛ فرآه الرهبان؛ فأسلموا... وكانوا أربعمائة!».

النوع الثاني من الحفظ: هو أشرفها وأفضلها:

حفظ الله- تعالى - لعبده في دينه، فيحفظ عليه دينه وإيمانه في حياته من الشبهات المردية، والبدع المضلة، والشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته؛ فيتوفاه على الإسلام.

ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمه أن يقول عند منامه: «**اللَّهُمَّ إن قبضت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»، فالله - عَزَّ وَجَلَّ - يحفظ على العبد دينه، ويحول بينه وبين ما يفسده عليه بأسباب قد لا يشعر العبد ببعضها، وقد يكون يكرهها! وهذا كما حفظ الله نبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٣].

سمع عمر رضي الله عنه: رجلًا يدعو فقال: «اللَّهُمَّ إنك تحول بين المرء وقلبه، فحل بيني وبين معاصيك» فأعجب عمر، ودعا له بخير.

أمثلة من حفظ الله لدين عبده

- حج بعض المتقدمين، فبات بمكة مع قوم؛ فهم بمعصية فسمع هاتفًا يهتف يقول: «ويلك ألم تحج؟!.» فعصمه الله مما هم به!.
- وخرج بعضهم مع رفقة إلى معصية؛ فلما هم بمواقعتها هتف به هاتف: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ فتركها!!.

✿ ودخل رجل غيضة ذات شجر فقال: لو خلوت هاهنا بمعصية فمن كان يراني؟! فسمع صوتًا ملأ ما بين حافتي الغيضة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ .

وهمَّ رجل بمعصية، فخرج إليها؛ فمر في طريقه بقاص يقص على الناس؛ فوقف على حلقته؛ فسمعه يقول: «أيها الهامَّ بالمعصية، أما علمت أن خالق الهمة مطلع على همتك»؛ فوقع مغشيًا عليه؛ فما أفاق إلا من توبة!!.

✿ وراود رجل امرأة عن نفسها، وأمرها بغلق الأبواب ففعلت؛ وقالت له: قد بقي باب واحد.قال:أي باب؟!.

قالت: الباب الذي بيننا وبين الله - تعالىٰ- !!! فلم يتعرض لها !!.

✿ وراود رجل أعرابية فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب!

فقالت: أين مكوكبها؟!!

وهذا كله من ألطاف الله - تعالىٰ- !!! وحيلولته بين العبد ومعصيته.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : وقد ذكر أهل المعاصي:«هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم!!».

وقال بشر الحافي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أصر على معصية الله كريم، ولا آثر الدنيا على الآخرة حليم».

وقال مسروق: «من راقب الله في خطرات قلبه، عصمه الله في حركات جوارحه».

وقال بعض السلف:«من أحب أن تدوم له العافية، فليتق الله»اهـ.

ومن أعظم التدابير الوقائية التي فرضها الله - عَزَّ وَجَلَّ - لمواجهة فتنة النساء:

فرض الحجاب

إن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قد حرم الزنا لما فيه من المفاسد العظيمة على الفرد والمجتمع، وللحد من وقوع هذه الفاحشة، جعل - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ضوابط محكمة، وتدابير لازمة على الرجل والمرأة سواء؛ فهذا هو [١] جمال وسمو التشريع الإلهي ﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾.

أما التشريع البشري فهو ينشر أسباب الفتنة ثم يطالب بعدم ممارسة الزنا حفاظًا على الفرد والمجتمع من الانهيار!! فأنى لهم ذلك؟!.

ولا أجد لهؤلاء مثلًا إلا كما قال القائل- قبحه الله - :

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له:

إياك! إياك أن تبتل بالماء

---

(١) كما سبق بيانه.

وكمثل الذي يريد إطفاء النار بسكب البنزين أو الكيروسين!. فأنى له ذلك؟!.

ونجد هذا الفرق واضحًا عندما نعلم كيف كان حال المسلمين عندما عاشوا في كنف دينهم، يستظلون بشريعته - حكمًا وتحاكمًا - ما عرفوا مراهقة ولا أسباب الفتنة ولا الزنى إلا في حالات نادرة قلما يخلو منها مجتمع!! وعندما تبدل الحال بالمسلمين من عزٍ إلى ذلٍ بتركهم الجهاد، وحب الدنيا وكراهية الموت، وتركهم التحاكم إلى شرع الله - عَزَّ وَجَلَّ - سلط الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليهم عدوًا أخذ بعض ما في أيديهم...، ولم يخرج هذا العدو إلا وقد انتشرت أسباب الفاحشة في الذين آمنوا - فويل لهم - فكانت الفاحشة في الذين آمنوا شرًا مستطيرًا الأمر الذي ينذر بالويل والثبور!! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الحجاب

وأولى هذه التدابير التي فرضها الإسلام لمواجهة الفتنة: الحجاب.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب:٥٩].

قال تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور:٣١].

وفرض الحجاب سد منيع للحيلولة دون تطلع الرجال إلى النساء، وبالعكس، وبالتالي حماية المجتمع من الفتنة.

القرار في البيت[1]

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣].

فلقد جعل الإسلام قرار المرأة في بيتها هو الأصل الأصيل في دائرة عملها.

قال رسول الله ﷺ: «**وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**»[2].

وما عداه استثناء، ثم إذا خرجت، تخرج محجوبة لا تخالط الرجال، وبشروط أخرى جِماعُها: حمايتُها، وحماية المجتمع من الافتتان بها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنما النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها، وما بها من بأس، فيستشرفها الشيطان، فيقول:

---

(١) «عودة الحجاب» (ج٣ص٣٩) بتصرف.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه، وإن المرأة لتلبس ثيابها فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضًا، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عبدت امرأةٌ ربّها مثل أن تعبده في بيتها».

تحريم التبرج

والتجمل للفت نظر الأجانب

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الآيَة.

قال قتادة: أي: «إذا خرجتن من بيوتكن قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج. يعني بذلك: الجاهلية الأولى فنهاهن عن ذلك»(١).

(١) حسنه الشيخ مصطفى العدوي في «جامع أحكام النساء. كتاب الأدب» (ص: ١٧١).

وعن أبي نجيح قال: «التبختر»(١).

والتبرج هو:«أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها، وما يجب عليها سَتْرَه ما تستدعي به شهوة الرجال»(٢).

وقال ﷺ : «**ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ... وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ**»(٣).

وقال ﷺ وقد بايع أميمة بنت رُقَيْقَةَ على الإسلام: «**أُبَايِعُكِ عَلَى...، وَلَا تَبَرَّجِي تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**»(٤).

---

(١) صحيح من قوله السابق (ص:١٧١).
(٢) السابق (ص: ١٧٢) نقلًا عن كتاب «حجاب المرأة المسلمة» للشيخ الألباني.
(٣) الحديث صحيح: رواه الإمام أحمد.
(٤) الحديث حسن: رواه الإمام أحمد.

وقال ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»(١).

الأمر بغض البصر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ الآيَة [النور: ٣٠].

فالله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يعلم مدى تأثير النظرة المحرمة في القلب، وما تحدثه من تحويل النفس إلى بركان، وما تحركه من الاندفاع نحو المرأة، والواقع يصدق ذلك؛ فكم من نظرة

(١) رواه مسلم.

محرمة أودت بصاحبها إلى الوقوع في المعصية، وفتنة الرجل بالمرأة، وفتنة المرأة بالرجل، وقد قرن الله - عَزَّ وَجَلَّ - الأمر بغض البصر بحفظ الفرج: لأن غض البصر هو السبيل لحفظ الفرج قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ الآيَة.

وقد تقع النظرة الخائنة دون أن يراها أحد؛ ومن ثَمَّ جاء ختام الآية بعلم الله – تعالىٰ - الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور!! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩].

قال ابن عباس رضي الله عنه: هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم، وفيهم المرأة الحسناء أو تمر به؛ فإذا غفلوا لحظ[١] إليها؛ فإذا فطنوا غض وقد اطلع الله من قلبه أنه ود لو اطلع على فرجها، وأن لو قدر عليها؛ فزنى بها»[٢].

---

(١) لحظ: نظر بمؤخر عينيه، «مختار الصحاح» (ص:٥٩٣).

(٢)رواه ابن أبي حاتم.

والنظرة الأولى تكون وليدة المفاجأة؛ فلا مؤاخذة عليها، وإذا وقعت؛ فعلى الناظر ألا يعقبها بأخرى، وعليه أن يحوِّل بصره إلى الأرض أو إلى جهة أخرى، فعن بريدة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»(١).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري»(٢) اهـ.(٣).

وفي حديث جابر رضي الله عنه في وصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَرْدَفَ - أي النبي صلى الله عليه وسلم - الْفَضْلَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا فَلَمَّا دَفَعَ

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن غريب.

(٢) رواه مسلم.

(٣) «عودة الحجاب» (٢/ ٤١ وما بعدها).

رَسُولُ الله ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ فَوَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ فَحَوَّلَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ مِنْ الشِّقِّ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «فيه الحث على غض البصر عن الأجنبيات، وغضهن عن الرجال الأجانب، وهذا معنى قوله «وكان أبيض حسن الشعر وسيمًا» يعني: أنه بصفة من تُفتتن النساء به لحسنه، وفي رواية الترمذي وغيره في هذا الحديث «أن النبي ﷺ لوى عنق الفضل، فقال له العباس: لويت عنق ابن عمك. قال: رأيت شابًا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما»(٢).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) صححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٣٤٦٧).

فهذا يدل على أن وضعه ﷺ يده على وجه الفضل كان لدفع الفتنة عنه وعنها...»[١]اهـ.

قال أنس رضي الله عنه: «إذا لقيت امرأة؛ فغمض عينيك حتى تمضي»[٢].

وقال العلاء بن زياد: «لا تتبع نظرك رداء المرأة؛ فإن النظر يجعل الشهوة في القلب»[٣].

وقال ابن عمر رضي الله عنه «من تضييع الأمانة: النظر في الحجرات والدور».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «حفظ البصر أشد من حفظ اللسان».

---

(١) شرح مسلم (٨/ ١٩٠).
(٢) «الزهد» للإمام أحمد(ص٢٥٩).
(٣) السابق: (ص٣١١).

وقال وكيع: «خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد فقال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا: غض أبصارنا».

وقال عمرو بن مرة: «ما أحب أني بصير، كنت نظرت نظرة وأنا شاب».

وقال أبو الحجاج المهدي: «من جعل شهوته تحت قدميه فَرَقَ الشيطان من ظله».

وقال ابن سيرين: «إياك وفضول النظر فإنه يؤدي إلى فضول الشهوة»(١).

وقال داود لابنه: «يا بُني امش خلف الأسد ولا تمش خلف المرأة».

---

(١) انظر هذه الآثار وغيرها في كتاب «الشكر» لابن أبي الدنيا (ص: ٨٤ وما بعدها).

وكتب إبراهيم بن أدهم إلى سفيان الثوري: «من أطلق نظره طال أسفه، ومن طال أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه»(١).

ويوم القيامة ينتظر من غض بصره عن محارم الله- جعلنا الله وإياك منهم - حديث النبي ﷺ: «ثلاثة لا ترى أعينهم النار يوم القيامة: عين بكت من خشية الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله»(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «والنظر الحرام: النظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقًا وبغيرها «أي الشهوة» إلا لحاجة، كنظر الخاطب، والمستام(٣)، والمعامل، والشاهد، والحاكم، والطبيب، وذي المحرم...، والمكروه: فضول النظر الذي لا

---

(١) «سلوة الأحزان» (ص٣٣وما بعدها).

(٢) رواه ابن عساكر، والحاكم، وصححه الألباني بطرقه الصحيحة: (ج٦ص: ٣٨٠)

(٣) المستام: الذي يساوم على السلعة في البيع والشراء.

مصلحة فيه؛ فإن له فضولًا كما للسان فضولًا، وكم قاد فضولها إلى حالٍ غير التخلص منه وأعيى دواؤه!.

قال بعض السلف: «كانوا يكرهون النظر، كما يكرهون فضول الكلام».

والمباح: النظر الذي لا مضرة فيه في العاجل والآجل ولا منفعة»[1] اهـ.

فوائد غض البصر

قال الإمام ابن القيم: «ولهذا كان غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر، جليلة القدر

الفائدة الأولى: الإيمان ولذته:

التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله -تعالىٰ- ؛ فإن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه،

---

(١) «مدارج السالكين» (ج١ ص١٤).

والنفس مولعة بحب النظر إلى الصور الجميلة، والعين رائد القلب؛ فيبعث رائده لنظر ما هناك؛ فإذا أخبره بحسن المنظور إليه وجماله، تحرك اشتياقًا إليه، وكثيرًا ما يتعب، ويتعب رسوله ورائده.

كما قيل:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفَك رائدًا لقلبِك يومًا أتعبَتْكَ المناظرُ

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ

فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة؛ فمن أطلق لحظه دامت حسراته؛ فإن النظر يولد المحبة؛ فتبدأ علاقة يتعلق القلب فيها بالمنظور إليه، ثم تقوى فتصير صبابة!، ينصب إليه القلب بكليته، ثم تقوى فتصير عشقًا، وهو: الحب المفرط! ثم يقوى فيصير شغفًا، وهو: الحب الذي وصل إلى شغاف القلب وداخله، ثم يقوى فيصير تتيمًا، والتتيم: التعبد ومنه، تيمه الحب: إذا

عبده،وتيم الله: عبدُ الله؛ فيصير القلب عبدًا لمن لا يصلح أن يكون هو عبدًا له، وهذا كله جناية النظر!؛ فحينئذ يقع القلب في الأسر؛ فيصير أسيرًا بعد أن كان ملكًا، وسجينًا بعد أن كان طليقًا!؛ يتظلم من الطرف و يشكوه.

والطرف يقول: أنا رائدك ورسولك، وأنت بعثتني. وهذا مما تبتلى به القلوب الفارغة من حب الله، والإخلاص له؛ فإن القلب لابد له من التعلق بمحبوب؛ فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلابد أن يتعبد قلبه لغيره...

الفائدة الثانية: في«غض البصر»: نور القلب وصحة الفراسة قال أبو شجاع الكرماني:«من عَمَّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة؛ وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة»، وقد ذكر الله - سُبْحَانَهُ - قصة قوم لوط وما ابتلوا به، ثم قال بعد ذلك: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر:٧٥].

وهم المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة!. قَالَ تَعَالَىٰ - عقب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم، وحفظ فروجهم -: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥].

وسر هذا: أن الجزاء من جنس العمل؛ فمن غض بصره عما حرم الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليه، عوضه الله - عَزَّ وَجَلَّ - من جنس ما هو خير منه؛ فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه؛ فرأى بهما ما لم يره من أطلق بصره، ولم يغضه عن محارم الله...

الفائدة الثالثة: قوة القلب، وثباته، وشجاعته، فيعطيه الله - تعالىٰ - بقوته سلطان النصرة، كما أعطاه بنوره سلطان الحجة، فيجمع له بين السلطانين، ويهرب الشيطان منه، كما في الأثر: «إن الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله».

ولهذا يوجد في المتبع هواه من ذل النفس، وضعفها، ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه؛ فإنه - سُبْحَانَهُ - جعل العِز لمن أطاعه، والذُل لمن عصاه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨].

وقال أيضًا: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٩].

وقال أيضًا: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر:١٠].

أي: من كان يطلب العزة؛ فيطلبها بطاعة الله: بالكلم الطيب، والعمل الصالح!.

قال بعض السلف: «الناس يطلبون العز بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله!».

وقال الحسن: «إن هملجت بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال، إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله - عَزَّ وَجَلَّ - إلا أن يذل من عصاه».

ولذلك من أطاع الله - عَزَّ وَجَلَّ - فقد والاه؛ ولا يُذَلُّ من والاه ربّه.

كما في دعاء القنوت: «إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت»[1]اهـ.

علاج من أصابه سهم مسموم من سهام إبليس

أي: «داء النظر المحرم»

سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عمن أصابه سهم من سهام إبليس المسمومة؟! فأجاب: «من أصابه جرح مسموم؛ فعليه بما يخرج السم ويبرئ الجرح بالترياق، والمرهم، وذلك بأمور:

منها: أن يتزوج أو يتسرى؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا نظر أحدكم إلى محاسن امرأة فليأت أهله؛ فإنما معها مثل ما معها»، وهذا مما ينقض الشهوة، ويضعف العشق.

(١) «إغاثة اللهفان» بتصرف (١/ ٥٩ومابعدها).

الثاني: أن يداوم على الصلوات الخمس، والدعاء، والتضرع وقت السَحَر، وتكون صلاته بحضور قلب وخشوع.

وليكثر من الدعاء بقوله: «يامقلب ثبت قلبي على دينك»، ودعاء «يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك، وطاعة رسولك». فإنه متى أدمن الدعاء، والتضرع لله صرف قلبه عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٤].

الثالث: أن يبعد عن مسكن هذا الشخص، والاجتماع بمن يجتمع به؛ بحيث لا يسمع له خبر، ولا يقع له على عين ولا أثر؛ فإن البعد جفا، ومتى قل الذكر ضعف الأثر في القلب، فليفعل هذه الأمور وليطالع بما تجدد له من الأحوال والله أعلم»[1]اهـ.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٥-٦).

تشريع الأستئذان

فقد حرم الله - عَزَّ وَجَلَّ - الدخول إلى البيوت إلا بعد الإذن قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٢٧،٢٨].

ووضحت السنة الهدف من الاستئذان وهو: خشية أن تقع عين آثمة على عورة غافلة، فتلد تلك النظرة الخاطفة فاحشة فاضحة.

قال ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**»[١]اهـ.[١]

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

تحريم مس الأجنبية ومصافحتها

لأن لمس الأجنبية باليد يحرك كوامن النفس، ويفتح أبواب الفساد، ويسهل مهمة الشيطان!.

من أجل ذلك توعد الله - عَزَّ وَجَلَّ - من يفعل ذلك بصارم عقابه، وشديد عذابه، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ

---

(١) «عودة الحجاب» (ج٣ص٣٩).

(٢) صحيح رواه الطبراني، والبيهقي، ورجال البيهقي ثقات، كذا قال المنذري، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» حديث رقم:(٥٠٤٥).

لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»(١).

في رواية قال صلى الله عليه وسلم: « لكل ابن آدم حظه من الزنا فزنا العين النظر، و زنا اللسان المنطق، و الأذنان زناهما الاستماع، و اليدان يزنيان فزناهما البطش، و الرجلان يزنيان فزناهما المشي، و الفم يزني و زناه القبل »(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح؛ رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» حديث رقم(٥١٦١).

قال النووي رحمه الله: معنى الحديث: أن ابن آدم قُدر عليه نصيبه من الزنى؛ فمنهم من يكون زناه حقيقًا بإدخال الْفَرْجِ في الْفَرْجِ الحرام، ومنهم من يكون زناه مجازًا بالنظر الحرام، أو الاستماع إلى الزنا، وما يتعلق بتحصيله، أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية ونحو ذلك أو بالفكر بالقلب؛ فكل هذه أنواع الزنى المجازي، «الْفَرْجُ يُصَدِّقُ أَو يُكَذِّبُهُ». معناه: أنه قد يتحقق الزنى بالفرج وقد =

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «المشي إلى معصية الله وهو: من رَجْل إبليس!؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء:٦٤].

قال مقاتل: استعن عليهم بركبان جندك، ومشاتهم؛ فكل راكب وماش في معصية الله فهو من جند إبليس!!.» (١)اهـ.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطهر ولد آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخوفهم لله، وأرعاهم لحدوده يقول: «**لا أمس أيدي النساء**»(٢).

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لا أصافح النساء**»(٣).

لايتحقق بألا يولج الْفَرْجُ في الْفَرْجُ وإن قارب ذلك والله أعلم اهـ.«شرح مسلم»(١٦/ ٢٠٥).

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١١٨).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم:٧١٧٨).

(٣) رواه مالك والنسائي، وصححه الحافظ بن كثير في «تفسيره».

تحريم الخلوة بالأجنبية[١]

وحقيقة الخلوة: أن ينفرد رجل بامرأة في غيبة عن أعين الناس.

والخلوة بالأجنبية من أعظم الذرائع، وأقرب الطرق الموصلة إلى اقتراف الفاحشة الكبرى!!.

وقد صرح القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بأن الخلوة بغير محرم[٢] من أكبر الكبائر، ومن أفعال الجاهلية!!».

وقال مجاهد في قوله - تعالىٰ -: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة:١٢]. أي: «لا تخلو المرأة بالرجال» ذكره البغوي في «تفسيره».

---

(١) «عودة الحجاب» (٣/ ٤٥) بتصرف.

(٢)

وذكر أيضًا عن ابن المسيب، والكلبي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا: «لا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر إلا مع ذي محرم».

وقال صلى الله عليه وسلم: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ**»[1].

وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو[3]؟ قال الحمو الموت»[4].

(١) رواه البخاري، ومسلم.
(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في الإرواء حديث (رقم:١٨١٣).
(٣) الحمو: أقارب الزوج كأخيه، وعمه، وخاله، وأولادهم.
(٤) رواه البخاري، ومسلم.

وقد حكى الإجماع على تحريم الخلوة بالأجنبية غير واحد من العلماء منهم: النووي، وابن حجر رَحِمَهُمَا اللهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وكذا لو كان معهما من لا يستحيا منه لصغره كابن سنتين، وثلاث، ونحو ذلك فإن وجوده كالعدم، وكذا لو اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام»اهـ.

وقال الأبي رَحِمَهُ اللهُ: «لا تعرض المرأة نفسها بالخلوة مع أحد، وإن قل الزمن، لعدم الأمن لاسيما مع فساد الزمن، والمرأة فتنة إلا فيما جبلت عليه النفوس من النفرة من محارم النسب»اهـ.

لايأمنن على النساء أخٌ أخا

ما في الرجال على النساء أمينُ

إن الأمينَ وإن تعفَّف جُهْده

لابد أن بنظرةٍ سَيَخُونُ

تحريم خروج المرأة متطيبة متعطرة[1].

من المعلوم أن من دواعي فتنة الرجل بالمرأة، ونزوعه إليها، ما يشم منها من الطيب الذي يفوح شذاه، فيجر إلى الفتنة، ويكون رسولًا من نفسٍ شريرةٍ إلى نفوس أخرى شريرة.

قال ﷺ : «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ وَكُل عَيْنٍ زَانِيَةٌ**»[2].

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : «لأن يمتلئ منخراي من ريح جيفة أحب إليّ من أن يمتلئا من ريح امرأة»[3].

---

(١) «عودة الحجاب» (٣/ ٥٠) بتصرف.

(٢) رواه أحمد، والنسائي، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) كتاب«الشكر» لابن أبي الدنيا (رقم٨٩) وهو حسن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الشمّ الحرام...، تعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات خشية الافتتان بها وراءه»(١).

تحريم الخضوع بالقول(٢)

قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب:٣٢].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والأذن تزني وزناها السمع**»(٣).

وقال بشار الأعمى:

يا قوم أُذْني لبعض الحي عاشقةٌ
والأذْنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحيانًا

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١١٦)

(٢)«عودة الحجاب» (٣/ ٥١)

(٣) سبق تخريجه.

تحريم سفر المرأة بغير محرم!.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ وَلَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا قَالَ انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**»(١).

وفي رواية: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا رَجُلٌ ذُو حُرْمَةٍ مِنْهَا»(٢).

وذلك لأن: «المرأة مَظِنة الطمع فيها، ومَظِنة الشهوة، ولو كانت كبيرة!!

وقد قالوا: «لكل ساقطة لاقطة»، ويجتمع في الأسفار من سفهاء الناس، وسقطهم من لا يرتفع عن الفاحشة بالعجوز،

---

(١) رواه مسلم. باب: «سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره» (٩/ ١٠٩)

(٢) رواه مسلم.

وغيرها؛ لغلبة شهوته، وقلة دينه، ومروءته، وخيانته، ونحو ذلك، والله أعلم»[1]اهـ.

فتبًا لهؤلاء المستغربين، وسحقًا سحقًا لعبيد المدنية الزائفة الذين أطلقوا لبناتهم ونسائهم العنان، يسافرن دون محرم، ويخلون بالرجال الأجانب، مدعين أن الظروف تغيرت وأن ما اكتسبته المرأة من التعليم، وما أخذته من الحرية يجعلها موضع ثقة أبيها وزوجها؛ فما هذا إلا فكر خبيث دَلَفَ إلينا ليفسد حياتنا، وما هي إلا حجج واهية ينطق بها الشيطان على ألسنة هؤلاء الذين انعدمت عندهم غَيْرَةُ الرجولة والشهامة فضلًا عن كرامة المسلم ونخوته»[2]اهـ.

---

(١) «شرح مسلم» (٩/ ١٠٤، ١٠٥).

(٢) «عودة الحجاب» (٣/ ٤٩، ٥٠).

بدون تعليق!

نشرت جريدة «الجمهورية» عدد السبت ١٥ نوفمبر ١٩٩٧م ما يلي: «أودعت سلطات جنوب إفريقيا السيدة «...» ٢٩ بمعسكرات اللاجئين بمدينة «جوهانسبرج» لحين النظر في طلبها الحصول على حق اللجوء السياسي.

«...» من محافظة الدقهلية. أخفقت في زواجها من ألماني، ثم سافرت للمكسيك حيث أقامت علاقة عاطفية مع فنان تشكيلي، لم تدم طويلًا، «...» عادت إلى مصر، واتهمت في قضية، وحكم عليها بالسجن لمدة عام، «...» والدها تاجر أغنام! قالت: إنها تدين له بالفضل في منحها الشخصية المستقلة وحرية السفر بمفردها لتكتشف العالم!!»اهـ.

(فإلى الله المشتكى)

ومن أعظم وسائل الإسلام لتجفيف منابع الفتنة بالمرأة: تحريم الاختلاط!!

تعريف الاختلاط: «هو اجتماع الرجل بالمرأة التي ليست بمحرم له اجتماعًا يؤدي إلى ريبة!»أو«هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم، بالإشارة، أو بالكلام، أو بالبدن، من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد».

وأقوى دليل على تحريم الاختلاط:

قوله -تعالى- : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣]. فخير حجابٍ للمرأة بيتها.

وقوله -تعالى- : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وقولـه ﷺ : «المـرأة عـورة وإنهـا إذا خرجـت استشرفها الشيطان وإنها لا تكون أقـرب إلى الله منهـا في قعـر بيتها»[1].

وعندما اختلط الرجال بالنساء شاع الفساد!.

«سأل أحد رجال السياسة في أوربا العلامـة أحمـد وفيـق باشا العثماني وكان سريع الخاطر، حاضر الجواب:«لماذا تبقـى نساء الشرق محتجبات في بيوتهن مدى حيـاتهن، مـن غـير أن يخالطهن الرجال ويغشين مجامعن؟!».

فأجابه في الحال قائلًا: «لأنهن لا يرغبن أن يلدن من غـير أزواجهن!!»

وكـان هـذا الجـواب كـصب مـاء بـارد عـلى رأس هـذا السائل،فسكت على مضض كأنه ألقم الحجر»[1].

---

(١) صحيح؛ رواه الترمذي، وصححه الألبـاني في «صـحيح الجـامع» (رقم:٦٦٩)، وفي «الإرواء» (رقم:٢٧٣).

تقول «كار أرمسترونج» في كتابها «إنجيل المرأة»[٢]:

«وعندما يعزل المسلم نساءه عن العالم؛ فإنما ذلك دليل على شدة احترامه لهن بما يجعله يربأ بهن عن مخالطة عالم الأسواق الخطِر الدنيء».

وتقول:«وعندما حجز المسلمون نساءهم - حسب التقاليد[٣] - في نظام الحريم داخل بيوتهم؛ فذلك بسبب تقديرهم لهن، واعتبارهن خاصتهم، بينما حجز المسيحيون

---

(١) مستفاد بتصرف من «عودة الحجاب» (٢/ ٩وما بعدها).

(٢) هذا الكتاب إهداء لكل نصراني ولكل مستغرب من أبناء ملتنا ففيه حقائق تنطق بأن الإسلام دين الحق والنور والهدى للبشرية الحائرة.

(٣) بل حسب شرع الله تعالىٰ.

نساءهم خارج حياتهم؛ لأنهم يكرهونهن؛ فصارت النساء منفيات إلى عالم منعزل يتسم بالوحشة»(١).

ختان الإناث(٢)

إن ختان الإناث بالطريقة الشرعية التي بيّنها صلى الله عليه وسلم بقوله لأم عطية الخافضة رضي الله عنها: «إذا خفضت فأشمي ولا تنهكي؛ فإنه أسرى للوجه، وأحظى لها عند الزوج»(٣).

خيرٌ ومصلحةٌ للأنثى؛ إذ فيه تعديل شهوتها، وحظوتها عند زوجها، وإعانة على عفتها، وعدم تطلعها للرجال،

---

(١) نقلًا عن «مكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام» لواء أحمد عبد الوهاب (ص٩٣).

(٢) انظر كتاب «ختان الإناث بين الشرع والطب».

(٣) صحيح بشواهده. انظر «صحيح أبي داود» (ح: ٥٢٦٠) و«الصحيحة» (ح: ٧٢١) وكلاهما للألباني.

وصبرٌ على العنوسة أو الأُيومة!، وبالجملة فهو صلاحٌ لنفسها وصلاحٌ لمجتمعها.

وبالضد تتبين الأشياء؛ فبالنظر إلى المجتمعات التي لا تعرف الختان، تجد زنى وفواحش عظيمة، تجد المرأة هناك طالبةً للرجال، وتنتقل من رجل إلى آخر لقضاء الوطر، وكأنها لم تُخلق إلا لهذه الشهوة، وينتج من ذلك مهانة المرأة، وكثرة أولاد الزنى، وظهور الأمراض والطواعين التي لم تكن في أسلافهم الذين مَضوْا.

لكن في بلاد المسلمين فالعفة دِثارٌ تتدثر به المسلمات، والختان أحد أسباب ذلك كما قال ﷺ والحمد لله على فضله.

يقول الشيخ «جاد الحق علي جاد الحق» شيخ الأزهر الأسبق في رسالته «الختان»:

«وهذه الروايات تحمل دعوة الرسول ﷺ إلى ختان النساء ونهيه عن الاستئصال، وقد علل هذا في إيجاز وإعجاز، حيث أُتي جوامع الكلم فقال: «فإنه أشرق للوجه وأحظى للزوج».

وهذا التوجيه النبوي إنما هو لضبط ميزان الحس الجنسي عند الفتاة؛ فأمر بخفض الجزء الذي يعلو مخرج البول لضبط الاشتهاء، والإبقاء على لذات النساء، واستمتاعهن مع أزواجهن، ونهى عن إبادة مصدر الاستمتاع والاستجابة، ولم يبقها دون خفض فيدفعها إلى الاستهتار، وعدم القدرة على التحكم في نفسها عند الإثارة»اهـ.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا على الحديث: «ومعنى هذا أن الخافضة إذا استأصلت جلدة الختان ضعفت شهوة المرأة فَقَلت حظوتها عند زوجها، كما أنها إذا تركتها كما هي لم تأخذ

منها شيئًا ازدادت غُلمتها - شهوتها-؛ فإذا أخذت منها وأبقت كان في ذلك تعديلًا للخلقة والشهوة»[١]اهـ.

كما أن من مصلحة الختان أنه تجميل لهذا المكان؛ فإن البظْر إن تُرك بدون خفض فإنه ينمو مع الكِبر مُكونًا كعرف الديك؛ فَيقْبح المنظر جدًا، ويكون سبب نُفرة بين الزوجين كما حُدثت بذلك، وسئلت فعلًا، وقد طلب الزوج من زوجته الختان؛ وإلا الطلاق!.

تقول إحدى الطبيبات المتخصصة في أمراض النساء حفظها الله: «إن الختان بالشكل الذي أوصى به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتبر عملية تجميل تُستكمل به الأنوثة؛ كما تساعد على النظافة والصحة، وقد أظهرت الدراسات العلمية أن معدل حدوث سرطان الفرج يقل كثيرًا في مصر عن البلاد

---

(١) «تحفة الودود» (ص:١٦٥).

الأوربية بفضل انتشار ختان الإناث، حيث إن قطع الجزء الزائد يمنع تراكم الإفرازات الضارة التي يؤدي وجودها إلى نمو البكتريا، وحدوث الالتهابات المزمنة، وكما أن الختان من الناحية الأخلاقية تكريم للمرأة، وصيانة لعرضها وعفتها، فتركه يُهيج الشهوة، ويثير الغريزة، ويكثر من ممارسة المراهقات للعادة السرية التي تُشكل خطرًا على عذريتهن»[1] اهـ.

وبعد:

فهذه تدابير الإسلام الوقائية لمنع وقوع الفتنة، طبَّقها سلفُنا الصالح على أنفسهم فانتشر الخير والصلاح في مجتمهم.

ولما بَعُدَ خلفُهُم عن دينهم - وأسباب ذلك كثيرة - كانت الفتنة وأسبابها! فالله المستعان.

---

(١) وللمزيد راجع رسالتنا «الختان من سنن المرسلين» فستجد فيها بيانًا وردًّا بليغًا على من يُحرمون الختان - هداهم الله - !.

أقبلت الفتن

قال ﷺ محذرًا من الفتن: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِم يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ**»(٢).

وفي معناه قولان:

الأول: قاله الطيبي: «كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر لإحراق يده، كذلك المتدين لا يقدر على ثباته على دينه، لغلبة العصاة والمعاصي، وانتشار الفسق وضعف الإيمان».

---

(١) رواه مسلم، والترمذي، وأحمد.

(٢) رواه الترمذي، وصححه الألباني بشواهده في «الصحيحة» (رقم:٩٥٧).

الثاني: قاله القاري: «كما لا يمكن القبض على الجمر إلا بصبر شديد، وتحمل غلبة المشقة، كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه، ونور إيمانه إلا بصبر عظيم»(١) اهـ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا**»(٢).

وعن مَعْقِلِ بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(٣)، أي: وقت الفتنة واختلاط أمر الناس.

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٦/ ٥٣٩).

(٢) صحيح. أخرجه الطبراني في «الكبير» وإسناده صحيح اهـ من «السلسلة الصحيحة» (٤٩٤).

(٣) رواه مسلم.

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسبب فضل كثرة العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد»(١).

وقال العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجه تمثيله بالهجرة أن الزمن الأول كان الناس يفرون فيه من دار الكفر وأهله إلى دار الإيمان وأهله؛ فإذا وقعت الفتن تعين على المرء أن يفر بدينه من الفتنة إلى العبادة، ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة، وهو أحد أقسام الهجرة»اهـ.

أخي هيا نجاهد أنفسنا في الله

أخي الحبيب: إن من أعظم سبل مواجهة فتنة النساء: المواجهة المستمرة للنفس، ومجاهدتها في الله.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

(١) شرح مسلم.

والجهادُ جهادان: جهاد العدو الظاهر، وهو: جهاد الكفار.

وجهاد العدو الباطن، وهو: جهاد النفس والهوى. وهذا من أعظم الجهاد!

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْـمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي الله»[١].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لما سأله رجل عن الجهاد: «ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك فاغزها!!»

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استخلفه: «إن أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك».

---

(١) صحيح. رواه الترمذي، وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم:٦٦٧٩).

وهذا الجهاد يحتاج إلى صبر عظيم، ومن صبر على مجاهدة نفسه، وهواه، وشيطانه غلب وحصل له النصر، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك؛ غُلِبَ، وقُهِر وصار ذليلًا...أسيرًا في يد شيطانه وهواه!

كما قيل:

إذا المرءُ لم يغلِبْ هواه أقامَه بمنزلةٍ فيها العزيزُ ذليلُ

واعلم أن نفسك بمنزلة دابتك،إن عرفت منك الجدَّ جدت، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك، وطلبت منك حظوظها وشهواتها.

كان أبو سليمان الداراني يقول:«كنت بالعراق أمر على تلك القصور، والمراكب، والملابس، والمطاعم التي للملوك؛ فلا تلتفت نفسي إلى شيء من ذلك؛ وأمر على الثمرة؛ فتكاد نفسي تقع عليها» فذُكر ذلك لبعض العارفين فقال:

تلك الشهوات آيس نفسه منها، فأيست، والثمرة أطمعها فيه، فطمعت!»

كما قيل في هذا المعنى:

صبرت على اللذات حتى تَوَلَّتِ ... وألزمْتُ نفسي هجرَها فاستمرّتِ
وما النفسُ إلا حيثُ يجعلُها الفتى ... فإن أُطْمِعَتَ تاقَتْ وإلا تَسَلَّتِ
وكانتْ على الأيام نفسي عزيزةً ... فلما رأتْ عزمي على الذلِ ذلت(١)

كان سفيان الثوري: كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين:

تَفْنَى اللذاذةُ ممن نال صفوتَها ... من الحرام ويبقى الوِزْرُ والعار
تبقى عواقبُ سوءٍ في مغبَّتِها ... لا خيرَ في لذةٍ من بَعدِها النارُ

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت،
نستغفرك ونتوب إليك

---

(١) «نور الاقتباس» (ص٦٤ ومابعدها).

الفهرس